الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
الملحقة الجامعية بمغنية
قسم اللغة و الأدب العربي

مُذكّرة تخرج لنَيْل شَهادة الماسْتر

التخصص :

دراساتٌ أدبيةٌ

الشعر النسوي في الأندلس
ولادة بنت المستكفي نموذجاً

من إعداد الطالبة
قداوي خديجة

تحت إشراف
د. بغداد عبد الرحمن

اللجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة
د. ابن عدي نورية	أستاذة محاضرة "أ"	الملحقة الجامعية بمغنية – تلمسان .... رئيسةً
د. عزوزي عبد الصمد	أستاذ محاضر "أ"	الملحقة الجامعية بمغنية – تلمسان .... ممتحناً

السنة الجامعية : 2015 - 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــكر و عـــــرفان

نحمدك اللّهم على ما أنعمت و نشكر لك ما هديت ، و نستغفرك و نتوب إليك و نسألك التوفيق ، فإنه لولا فضلك ماكنّا وجدنا ولولا هداك ماكنّا اهتدينا ،و نصلّي و نسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

أمّا بعـد

أتوجّه بشكري الخالص إلى كلّ الذين ساعدوني لانجاز هذا البحث ، بالقليل أو بالكثير .

و أخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور بغداد عبد الرحمن الذي أفادني و أعانني و وجّهني في هذا البحث ، وكان دوما الأستاذ المخلص الوفي ، نسأل الله أن يطيل عمره ، و يحفظه لنا و لطلبة الآداب بالملحقة الجامعية بمغنية .

كما لا أنسى الأساتذة الأفاضل الذين شرّفوا هذا العمل بالقراءة و من ثمّ المناقشة المحّصة من خلال آرائهم و مقترحاتهم.

و الشكر الأول و الأخير هو لصاحب الفضل علي دوما . الله سبحانه ، الواهب الرازق .

الإهـــــداء

إلى الذين أعانوني و وجهّوني إلى درب العلم : الوالدين الكريمين ، لهم جنّات الفردوس نزلا إنشاء الله .

إلى إخوتي حفظهم الله الحفيظ و رعاهم : مريم ، إسماعيل ، و يوسف .

إلى أساتذتـــي الأعــزاء .

إلى كلّ الأصدقــاء و الأحباب.

إلى كلّ طلبة الماستر تخصص: لغة و أدب عربي.

إلى كلّ من نسيهم القلم ، ولم ينساهم القلب .

خـديجــــة

مقدمة

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

و بعد :

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره من المجتمعات ، بأنّه مجتمع يكاد يكون كلّه من الشعراء ، و كان الحسّ الشّعري سمة مشتركة بين أفراده ، و قد استطاعت المرأة الأندلسيّة أن تظفر بحظّ كبير من النشاط العلمي و الأدبي ، هذا ما جعلها تفرض وجودها في موكب الشعر النسوي حتّى تفوّقت على مثيلاتها من نساء المشرق .

لذا أردنا أن يكون موضوع بحثنا هذا الشعر النسوي في الأندلس و خصّصنا البحث فيه عن إبداع ولاّدة بنت المستكفي ، و الدّافع لاختيار هذا الموضوع هو الرّغبة في التعرّف على البيئة الأندلسيّة ، و إبراز مساهمة المرأة و ولاّدة خاصة في الأدب الأندلسي و كذا معرفة سمات شعرها و أسباب ازدهاره و تألّقه ، حيث لم نجد دراسة أدبية فنّيّة تحليليّة للشّاعرة ، و إنّما هناك مراجع تناولت نبذا من حياة شاعرات الأندلس مثل كتاب قراءات في الشعر الأندلسي لصلاح جرّار و الأدب الأندلسي لسامي يوسف . فأحببنا أن نجعل من بحثنا دراسة تحليليّة جماليّة نقف فيها عند مكامن القوة و الضّعف في قصائد الشاعرة .

ممّا فرض علينا بعض التساؤلات ألا و هي : ما المقصود بالأدب النسوي ؟ و كيف ظهر هذا المصطلح ؟ و من هي الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي ؟ و ما أهم خصائص شعرها ؟

و للإجابة على هذه التساؤلات أعددنا بحثنا في مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة ، عالجنا في المدخل موضوع الأدب النسوي في الأدب الغربيّ ثم في الأدب العربي ، أمّا في الفصل الأول فتناولنا فيه الحديث عن شاعرات الأندلس فكان المبحث الأوّل منه عصر الإمارة و الخلافة ، و تضمّن المبحث الثاني عصر ملوك الطوائف و المبحث الأخير كان

الحديث فيه عن عصر الطوائف و الموحدين ، و أمّا الفصل الثاني فتحريت البحث فيه عن نبوغ الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي حيث خصصت المبحث الأوّل للحديث عن عصر الشاعرة و المبحث الثاني بسطت فيه ثقافتها و فكرها ، و ذكرت في المبحث الثّالث أهمّ خصائص شعرها وقد أنهينا بحثنا بخاتمة اعتبرت حوصلة لأهم ما جاء فيه .

و لطبيعة الموضوع فرض علينا اتّباع المنهج التّاريخي في عرض أخبار شواعر الأندلس ، و المنهج الفنّي في عرض بعض خصائص شعر ولادة بنت المستكفي .

و لعلّ ممّا صادفنا في هذا البحث من صعوبات هو قلّة المصادر و المراجع التي تروي لنا أخبار النّساء الأندلسيّات و أشعارهنّ ، و ممّا اعتمدنا عليه من تلك المصادر و المراجع : نفح الطيب للمقرّي ، دراسات في التّاريخ و الأدب و الفنّ الأندلسي لمحمد حسن قجّة ، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف لمحمد صبحي أسعد أبو حسين .

و أخيرا نحمد اللّه تعالى على ما أعاننا به من صبر و عون ، و نسأله التّوفيق و أن يغفر لنا الخطأ و الزّلل ، هو وليّ التّوفيق .

قداوي خديجة

المدخل :

الأدب النسوي المصطلح

و المفهوم

1- مـاهيــة الأدب النسوي و إشكالية المصطلح:

ظهرت النزعة النّسوية في نـهاية ستينيات القرن العشريـن ،كتيّار مضاد للوضع الإنسـاني المهين الذي عانت منه المرأة عبر العصور و لا تزال.

و كنتيجة طبيعيّة لمعاناة المرأة عبر العصور كان الهدف الإستراتيجيّ للأدب النّسوي واحد ، سواء بالنسبة لحركة تحرير المرأة أو بالنّسبة للنّظرية النسوية المعاصرة ، وهو تغيّر أوضاع المرأة في المجتمع الذي اعتاد إهدار كيانها عبر العصور.(1)

ورغم تعدّد المصطلحات المرتبطة بهذه النّزعة ، إلاّ أنّها تتّفق في معنى واحد وهو الدعوة لإعادة القراءة ، وإعادة الكتابة ، وإعادة النّظر.

لذلك فاتجاه النّساء نحو الكتابة حول الأدب الذي تكتسبه النّساء ، قد حظي في الآونة الأخيرة بشعور قويّ بالأهميّة الفائقة لمثل هذه الأعمال .(2)

على أنّ الحديث عن الأدب النّسائي هنا ليس جديدا على إطلاقه ولا هو مجال لدعوى الابتكار أو التّجديد ، بما لم يأت به الأوائل ، ولكنّه يظلّ بمثابة إعادة طرح و معالجة لرؤية الأوائل حوله ، وهو " في صورته الدقيقة، جهد متواضع حول بقعة ظلّت غائبة أو بمعنى أدقّ غامضة و غائمة في عالم الدّراسات الأدبيّة و بها تستكمل الأحاديث و حولها تتبلور الرّؤى و تتّحد الحوارات في تحديد بلاغات النّساء". (3)

و مصطلح الأدب النّسوي يحيل على تاريخ للأدب العربيّ ساهمت فيه المرأة عهود قديمة ، "

1- ينظر موسوعة النّظرية الأدبيّة ، نبيل راغب الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، القاهرة ، ط1، 2013 ،ص 252.

2- ينظر ما هو النّقد، بول هيرنادي، ترجمة سلافة حجاوي دار الشؤون الثّقافيّة العامّة بغداد ط1 1989 ص 234.

3- الشّعر النّسائيّ في أدبنا القديم ، مي يوسف خليف ، مكتبة غريب ،القاهرة ،ط1، د س ط ،ص07 .

ولئن كانت المرأة من جنس الضّعفاء فقد أهمل شعرها و سقط ذكر الشّاعرات اللّواتي بلغ عددهنّ مائتان و اثنان و أربعون شاعرة من الخنساء إلى ولاّدة بنت المستكفي ، كما أهملت فنون النّساء كالتّهويدات التّي تغنّيها الأمّهات لأطفالهنّ لأنّها ليست من الفنون التّي تندرج في مسرّات البلاط " (1).

لذلك نسمّي الأدب النّسوي ذلك الأدب الذي ينتج عن المرأة ، و لاتّصاله بها أصبح يسمّى أدبا نسويّا .

و ستتوضّح معاني و مدلولات هذا المصطلح أكثر، خلال دراسته في الأدبين الغربي و العربي فيما سيأتي .

1- الرّواية العربيّة المتخيّل وبنيته الفنيّة ، د يمنى العيد ، دار الفرابي لبنان ، ط1 ،2011 ،ص 138.

2- الكتابة النّسوية في الأدب الغربي:

مصطلح الكتابة النّسوية هو حصيلة نضال نسوي غربي طويل أفرزه نقده الخاصّ به ، فالمذهب النّسوي الغربي ، مصطلح أطلق على الفكر الدّاعي إلى تحرير النّساء من القمع الذي طالهن لقرون من الزّمن من طرف السّلطة الذّكوريّة. (1)

و أوّل من أطلق مصطلح feminism و feminsit هنّ نساء ذوات فكر برجوازي غربي ، لذا كان من الطّبيعي أن يلقي هذا المصطلح رفضا من نساء الحزب الشّيوعي في الاتّحاد السوفياتي ، و على رأسه ألكسندرا كولونتاي Alexandra kollontai ، رئيسة الحزب الشّيوعي ، و التي اعتبرت أنّ المصطلح ذو صبغة لبيرالية ، و امتدّ هذا الرّفض ليشمل مفكّرات الحركة النّسائية القوميّة في الهند و النّساء السّود في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، و الحركات النّسائية في العالم الثّالث ، وفي انجلترا ، وحتّى نظيرتها في فرنسا أبدت هي الأخرى تحفّظا إزاء المصطلح حين تعرّفت عليه سنة 1970 ، فهي تنظر إلى المصطلح بأنّه نتاج فكر حركة نسويّة تبحث عن سلطة ضمن النّظام الهرميّ الذي هو من صنع السّلطة الذّكوريّة. (2)

إنّ هذا التّنوع في الآراء و المبادئ ، جعل المذهب النّسوي يمرّ بثلاثة أطوار من خلال الكتابات النّسائية.

1/2 - الطور المؤنّث: و يتضمّن أعمال إليزابيث جامبل Elezabite Jamble و جورج

1- ينظر الأسس الفلسفيّة للفكر النّسوي الغربيّ، د خديجة العزيزي ، بيسان للنّشر و التّوزيع و الإعلام، بيروت ، ط1، 2005 ، ص 17 .

2- ينظر المرجع نفسه ، ص 18، 19 ،20 .

إليوت " George Eliot " تلك الأعمال التي حاكت المرأة الكاتبة .

و تمثّلت المعايير الجماليّة الرّجاليّة السّائدة ، يعني أنّ كان على الكاتبات أن يكنّ سيّدات مهذّبات ، وكان المجال الرّئيسيّ لعملهنّ هو الدّائرة المنزليّة و الاجتماعيّة المباشرة ، ممّا أدّى إلى معاناتهنّ من الشّعور بالذّنب لالتزامهنّ (الأناني) بصناعة الكتابة ، و إلى تقبّلهنّ قيود التّعبير التي تجنّبهنّ الفظاظة و الحسّية .(1)

2/2 - الطور النّسويّ: و يتضمّن كتابات مثل " إليزابيث روبنز Elisabith Robins و " أوليف شراينز" Olive Schrciner ، و قد دافعت الكاتبات الرّاديكاليات لهذه المرحلة عن يوتوبيات أمازونيّة انشقاقيّة ، و وحدة نسائيّة تدعو إلى المساواة .

3/2 - الطور الأنثوي: هذا الطور ورث خصائص الطّورين السّابقين ، و طوّرت فكرة الكتابة النّسائية المتميّزة ، فضلا عن فكرة التّجربة النّسائيّة ، و كانت "ربيكا وست" Rebecca West ، و " كاثرين مانسفيلد " Katherine Mansfield و " دورثي ريتشادسون " Dorthy richardson أوائل الرّوايات في هذه المرحلة . (2)

و لكن ما مرّ بنا من عرض لأطوار الكتابة النّسائية ، قد أعاد الذّاكرة لموضوع إحدى الدّراسات التي تدور حول نشاط المرأة الأدبيّ في القرن 18 في انجلترا و قد سجّلت هذه

1- النّظريّة الأدبيّة المعاصرة ، رامان سلدن ، ترجمة جابر عصفور ، دار قباء للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط1، 1998، ص 202.

2- ينظر المرجع نفسه ، ص 202 .

الدّراسات المواقف العديدة التي تدلّ على التّحيّز ضدّ المرأة أدبيّا في تلك الفترة ،حتّى أدّى هذا التّحيّز إلى أن تحجم الكثير من الأديبات عن نشر أعمالهنّ الأدبيّة ، بأسمائهنّ الأنثويّة وإنّما أصبحن يتخفّين في نشرها، وراء أسماء الرّجال لتنال الإقبال من القرّاء ، لأنّه متى علم أنّها لامرأة ، بدأت النّزعة الرّافضة لهذه الأعمال ، و كذلك ملامح التّشكيك في قدراتهنّ الفنّية و الأدبية .(1)

فقد كتب الأديب" سادثير" Sadthir عن " شارلوت برونتي" Charloate Brontee ، وهي إحدى الرّوائيّات الإنجليزيات يحذّرها من التّفكير في اتّخاذ الكتابة مهنة لها ، عندما كتبت إليه تطلب رأيه في بعض قصائدها الشّعريّة قائلا:" **لا يمكن أن يكون الأدب مهنة للمرأة ، فإنّها إذا ما التفتت إلى واجباتها الأساسيّة ، فسوف لن تجد فراغا لذلك ، حتّى وإن كان ذلك للتّسليّة** " .(2)

و يعني من قوله أنّه لا يمكن للمرأة أن تجعل من الأدب مصدرا للتّكسّب أو حتّى للتّسليّة ، فالأدب يتطلّب فراغا و تركيزا من أجل إنتاجه .

كما وصفت في هذا الشّأن إحدى الكاتبات الفرنسيّات معاصراتها بقولها : " صفحات فارغة ، فراغات ، حدود ، مسافات ، صمت و ثقوب في الحديث ، هؤلاء النّساء يؤكّدن

1- المرأة العربيّة و الإبداع الشّعريّ ، سهام عبد الوهاب الفريح ، دار جريم للنّشر و التّوزيع ، عمان ، ط 1، 2010 ، ص 209.

2- المرجع نفسه ، ص 210 .

على مظهر الكتابة النّسوية التي تشكّل أصعب شيء يمكن التّعبير عنه و ذلك لأنّها تخضع للمهادنة ، للعقلنة ، للذّكوريّة ، وهي تشرّح نفسها " (1)

تؤكّد الكاتبة هنا على أنّ كتابة المرأة ضعيفة ، و غير متّصله في معانيها و تركّز كذلك على أنّ النّساء ، لا يمكنهنّ التّعبير عن الأدب لأنّه أصعب ممّا يتوقّعن ، و لأنّه يخضع للعقلنة الذّكوريّة .

في حين بعض الكاتبات صارعت هيمنة الرّجال على اللّغة بدل مجرّد الانحصار في قوقعة الخطاب الأنثوي ، و لكن هناك نظرة مناقضة تتبنّاها واحدة من دارسات علم اجتماع اللّغة هي " روبين ليكوف " Robin Lakoff التي ترى أنّ : " **لغة النّساء أدنى بالفعل من لغة الرّجال لأنّها لغة تتضمّن أنماط ضعف و عدم اليقين و تركّز على التّافه و الطّائش و الهازل ، و تؤكّد الاستجابات الانفعاليّة الذّاتيّة** " (2)

فهي تعني أنّ خطاب الرّجال أقوى و يجب أن تتبنّاه النّساء إذا رغبن في تحقيق المساواة الاجتماعيّة بالرجال، و لأن لغة النّساء تحتمل الشكّ و تتضمّن مواضع تافهة وبدون معنى .

و قد طرحت " سيمون دي بوفوار " Simon de Beauvoir بوضوح عظيم الأسئلة الأساسية للحركة النّسائيّة الحديثة في كتابها الجنس الثاني (1949) حيث ترى أن " المرأة تبدأ بالقول أنا إمرأة عندما تحاول تعريف نفسها ، و ليس هناك رجل يفعل ذلك ، هذه الحقيقة تكشف اللاّتماثل الأساسيّ بين مصطلح مذكّر و مؤنّث ، فالرّجل هو الذي

1- ماهو النّقد ، بول هير نادي ، ص 234 .

2- النّظريّة الأدبيّة المعاصرة ، رامان سلدن ، ص 197.

يحدّد الفارق الإنسانيّ و ليس المرأة و التّضادّ بينهما يرجع إلى العهد القديم "(1) .

ومن جهة أخرى عبّرت الكاتبة على أنّ " المرأة ليس لها جوهر أو طبيعة بل تاريخ ، و المجتمع الذي تعيش فيه يرسم لها ، في كلّ حقبة ، التّجويف من أجل قالب تتقيّد به" (2) .

و التّجويف الذي تشير إليه الكاتبة ينطوي على الضّمير المذكّر ، و يصعب على المرأة أن تحقّق ضميرها الأوّل في هذا التّجويف .

فالنّساء لا ينظرن إلى الأشياء كما ينظر إليها الرّجال ، و تختلف أفكارهن و مشاعرهنّ إزاء ما هو مهمّ ، و غير مهمّ ، و يقوم بدراسة التّمثيل الأدبيّ لهذه الاختلافات في كتابة المرأة من يطلق عليهنّ اسم " ناقدات الخصائص النّسائيّة " .

و هنا يتطلّب منّا ذكر رائدة مهمّة للنقد النسائي وهي فرجينيا وولف " Virginia Woolf " ، حيث كتبت كثيرا عن الكتابة النّسائيّة مثل " دورتي ريتشار دسون " Dorthy Richardson، و رغم أنّها لم تتبنّ الموقف النّسائيّ قط ، فإنّها لم تكفّ عن دراسة العوائق الاجتماعيّة و الاقتصاديّة التي كانت تعوق طموحاتهنّ الأدبيّة (3)

لكن رغم ذلك لابدّ من الإشارة إلى كثير من الأعمال النّسائيّة و إبداعاتهنّ قد أهملت و لم تنشر .

1- الجنس الثّاني ، سيمون دي بوفوار ، نقلته إلى العربيّة لجنة من الأساتذة ، الجامعة ، ط1 ،د س ط ،ص 46 .

2- المرجع نفسه ص 322 .

3- ينظر النّظريّة الأدبيّة المعاصرة ، رامان سلدن ، ص 204 .

و هذا ما جعل " إلين شولتر " Elaine Showlter ، تشير في كتابها " أدب خاصّ بهن " إلى أنّ تراثا بأكمله من الكتابة النّسائيّة قد أغفله النّقّاد .(1)

1- ينظر المرجع السابق ، ص 20.

3- أدب المرأة في الفكر العربي:

إنّ ظاهرة الأقلام النّسويّة كانت غريبة على الفكر العربيّ المؤمن بالأصالة و بزمن البكارة الأوّل ، و الذي يتحاشى كلّ تجديد فتعاطى مع النّاتج الفكريّ للمرأة بحذر ، فهل كان الطّرح النّسوي أنذاك انقلابا في بنية الذهنية العربيّة أم أنّه كان كرة اختيار؟

الأصحّ أنّه كان الاثنين معا ، بدليل ما لاقته الأقلام من انقسامات متباينة في الرّأي و النّزعة و الوسيلة ، بين مؤيّد و متحفّظ و معارض ، ومازالت علامات الاستفهام ترسّم حول الأدب النّسائيّ الذي رشقوه بالكثير من التّهم ، فتأرجح بين الهواية و الالتزام .

و عليه فقد نادى الأدب النّسوي بثورة غريبة عن طبع الأنوثة " فدار هذا النّوع من الأدب حول محور واحد ، و هو المرأة التي اعتبرت مخلوقا تابعا للرّجل، فهل كان التزام المرأة بطرح موضوع تحرّرها و إنصاف غالبية نتاجها بالثّورة على الرّجل و التّقاليد ، من قبيل التّخلّف الأدبيّ لاقتصار كتاباتها على هذا الموضوع بالذات". (1)

هكذا لم تؤمن الأديبة بالأسس التي بنتها لها سابقاتها ، فأرادت التّفرّد بحلّ المشكلة ، و عاشتها بقساوتها ، رافضة كل ما أعطي لها ، هادفة إلى التّفرّد في عرض قضيّتها و المطالبة بحقوقها بوحي من اعتباراتها الخاصّة، ممّا ميّز أدبها بالرّفضيّة . (2)

و هنا نشير الى "عبد الله الغذامي" الذي يرى أنّ "**علاقة المرأة مع اللّغة علاقة مضطربة**

1- الحركة الفكريّة النّسويّة في عصر النّهضة ، جورج كلاس، دار الجيل ، بيروت ،ط1 ،1996 ، ص 183.

2- المرجع نفسه ، ص 184.

، فهي عنصر هامشي لم تسهم في صناعـة الكتابة و لا في إنتـاج المكتوب و كانت مجـرّد موضـوع أدبـيّ أو أداة من أدوات البلاغـة و مجـازاتـها، و رمـوزهـا التّعبـيريّـة و الدّلاليّة " (1).

إنّ الكاتب هنا لا يعترف بإبداع المرأة ، بل و الأكثر من ذلك اعتبرها موضوع أدبيّ ، أو رمز دلاليّ يوظّف لإبداع النّصوص.

لكن في حقيقة الأمر أنّ المرأة لم تكتب ضدّ الرّجل الإنسان ، حين تناولت في كتاباتها الإبداعيّة العلاقـة بين الأنوثة و الذكورة ، بل كتبت ضدّ إديولـوجيا السّلطة الذّكـوريّة ، فالنّسائيّ في الخطاب الأدبيّ العربيّ يضمر معنى الدّفاع ال أنا الأنثويّة بما هي ذات لها هويّتها المجتمعيّة و الإنسانيّة مثل رواية " شجرة الحبّ غابة الأحزان " ل" أسيمة درويش" عن غربتها في وطنها الذي يتسيّد فيه الرّجل ، و عن استعادتها لذاتها في بلاد الغربة التي وفّرت لها العلم و الحب والحرّية . (2).

كما يفصح ما تكتبه المرأة ، عن قدراتها الإبداعيّة في مواجهة ما لحق بها من ظلم على مدى تاريخ طويل " فتواجه "غالية ممدوح" ظلم الرّجال بمنح النّساء حيّزا واسعا في عوالم رواياتها ، ففي "الولع "كما في "المحبوبات" تنسج الشّخصيّات عالما رحبا قوامه الألفة بينهنّ ، و سمته التّعالي على الألم ، بحيث تبدو النّساء مشفقات على الرّجل ، هازئات بكبرياء ، من ظلم يبدو فيه التّاريخ أكثر ذكوريّة من الرّجل نفسه " (3).

1- المرأة و اللّغة ، عبد اللّه الغذامي ، المركز الثّقافي العربيّ ، الدّار البيضاء ، ط1 ، 1997 ، ص 125.

2- ينظر الرّواية العربيّة المتخيّل و بنيته الفنّيّة ، يمنى العيد ، ص 146.

3- المرجع نفسه ، ص 148.

و يسعى خطاب العلاقة الضّديّة بين الأنوثـة و الذكـورة في أدب الـمرأة العربيّة ، إلى تثمين الأنوثة ، بإضاءة دلالاتها بالهوّيّة و اللّغة و الحياة. [1]

و من منطلق منهجيّ يمكن اعتبار ما سبق ذكره من أمثلة أدبا نسائيّا على أساس العلاقة نفسها بين الذكورة و الأنوثة و من هذا التّثمين نفسه.

وكما في تحديث السّرد ساهمت المرأة بصفتها شاعرة في تحديث القصيدة العربيّة شأن نازك الملائكة "التي كان لها بقدر ما كان للشّاعر "بدر شاكر السّياب" فضل الرّيادة في نقل القصيدة العربيّة من شعريّة الوزن و القافيّة إلى شعريّة التفعيلة و الإيقاع. " [2]

و بالنّظر إلى الأجناس الأدبيّـة ، فقـد يعلّل بعضـهم إقبـال المـرأة على النّثر و سردياته أو على النّثر الشّعريّ أكثر من إقبالـها على القصيدة العموديّة بالأنوثـة ، فالأنوثـة كما يقال كلام شفوي يحكي و الذّكورة عقل يفكّر . [3]

من هنا فإنّ الذّكـورة تفرض نفسها على المرأة لدرجة أنّ النّساء أنفسهنّ ساهمـن في هذا التّحويل المستمرّ باتّـجاه الذّكورة ، و هاهي "أحـلام مستغـانمي" تشير إلى أنّهـا : " **وجدت التّحدّث بلسان الرّجـل يسهّل عليها الكتابة و يساعد على السرد و يجعلها تقـول ما تعجز عن قوله كأنثى** " [4] .

من خلال هذا القول نكتشف رأي هذه الرّوائيّة و موقفها من الأدب النّسويّ ، و هو أنّها

1- ينظر الرّواية العربيّة المتخيّل و بنيته الفنّيّة ، يمنى العيد ، ص 148.

2- المرجع نفسه ، ص 149.

3- المرجع نفسه ، ص 150.

4- المرأة و اللّغة ، عبد اللّه الغذامي، ص 49.

وجدت الحريّة في التّعبير و السّرد بلسان الرّجل ، و هذا يعني كذلك أنّها لا تعترف بوجود أدب نسوي قائم بذاته .

و كانت مي زيادة " علامة على مرحلة ثقافيّة متميزّة في علاقة الأنثى مع اللّغة ، فهي امرأة ترمز إلى جيل نسويّ ظهر مع مطلع القرن العشرين ، متمثّلا بأعداد من النّساء العربيّات اللّواتي أخذن بمحاولة الدّخول إلى اللّغة ، و حاولن أن يتكلّمن بلغة لم يكنّ موجودات فيها " (1).

فهذا تحول نوعيّ ثقافيّ يكسر احتكار الرّجل للقلم و لوسائل الكتابة و النّشر ، حيث طالبت" مي زيادة "الجمهور بالاعتراف بالأدب النّسوي ودعمه ، و تبيّن مواضع جودته و ضعفه و ترى " أنّ أدب المرأة فيه وصف لذاتها و هو أعمق و أصدق ممّا يصفه الكاتب و يرونه عنها " (2).

فشرع العمل عند "مي" لا يجيز أن يرمي الأدب النّسائيّ بالضعف دون البحث و المقارنة وتضيف قائلة : " **نحن في حاجة إلى نساء تتجلّى فيهنّ عبقريّة الرّجال** " (3) .

وقد تباينت آراء النّقّاد حول تخصّص المرأة بنوع واحد من الأدب فرأى بعضهم أنّ الإشارة إلى الأدب النّسوي بأبحاث مستقلّة تشكّل ظاهرة انعزاليّة من رواسب عصر الحريم ، في رأى البعض أنّ عصرنا عصر تخصّص و تمايز ، و أنّه من الطّبيعيّ أن ننظر إلى الأدب النّسويّ من موقع التّخصّص و التّمايز و التّفرّد ، و في هذا تأثير للفروق التي يتأثر بها

1- المرأة و اللّغة ، عبد اللّه الغذامي ، ص 128.

2- أدب مي زيّادة في مرايا النّقد ، منى الشّرافي تيم ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 2010 ص 107.

3- المرأة و اللّغة ، عبد اللّه الغذامي ، ص 47.

الأديب و الأديبة ، ممّا يحتّم وجود مفارقات بين الأدب النّسوي و الأدب العامّ ، وليس من شأن هذا التّخصّص الإقلال من القيمة الأدبيّة للمرأة ، على الأقلّ في مرحلة كتابتها الأولى.

و منه حدّدت " بنت الشّاطئ " نظرتها إلى الأدب النّسويّ ، بحيث ردّت على الأحكام التي أطلقت حوله ، من أنّه أدب متخصّص أو أدب انعزاليّ محـدّدة إيّاه بأنّه " **جزء من الأدب العامّ لا ينفصل عنه ، لكن هذا لا يمنع بحال ما ، من إفراده بالنّظر و الدّرس على وجه التّخصيص، على نحو ما تفعل بكثير من فروع الدّراسة لفنون من الأدب ، أو لأنواع منه أو لصنف خاصّ من الأدباء دون أن تمنع عموميّة الأدب من هذه الخصوصيّة ، بل دون أن يقال أنّ التّعميم ينفي التّخصيص** " (1).

فالكاتبة هنا لا تنفي اتّصال الأدب النّسويّ بالأدب العامّ ، و لكن تطمح إلى دراسته على أساس التّخصيص لا على أساس التّصنيف .

و تذهب" يمنى العيد "إلى الاتجاه نفسه، لكن بنظرة أخرى قائلة : " **أميل إلى الاعتقاد بأنّ مصطلح الأدب النّسائيّ يفيد معنى الاهتمام و إعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربيّة ، و ليس عن مفهوم ثنائي أنثويّ ذكوريّ يضع هذا النّتاج في علاقة اختلاف ضدّي تناقضي مع نتاج الرّجل الأدبيّ** " (2).

و في رأيي أنّه ليس هناك أدب نسائي و آخر رجاليّ ، و إنّما هناك أدب عامّ يجمع بين إبداع المرأة و إبداع الرّجل، من خلال أعمالهم و إنتاجاتهم الأدبيّة و النّقديّة ، و إذا ميّزنا بينهما فإنّ ذلك سيخلّف آراء متضاربة ، بين المؤيّد الذي يعترف بأدب المرأة و المعارض الذي

1- الحركة الفكريّة النّسويّة في عصر النّهضة ، جورج كلاس ، ص 186.

2- الرّواية العربيّة المتخيّل و بنيته الفنّيّة ، يمنى العيد ، ص 137.

يحطّ من قيمتها و لا يعترف بإبداعاتها .

إنّ طرح مسألة وجود أدب نسوي قائم بذاته ، جعل بعض النّقّاد يميّزون المقوّمات الفنّيّة في أدب الرّجل و المرأة " فبين هذين النّوعين من الأدب ، تختلف اهتمامات كلّ من الجنسين ، طبقا لما يدخل في نطاق تجربة كلّ منهما ، و ما يرسمه إحساسه من مظاهر الحياة و قضايا المجتمع ، على أنّ هذه الاهتمامات نفسها تتقارب و تتداخل عند الرّجل و المرأة ، كلّما زادت ممارسة المرأة للحياة ، وتخلّصت من إحساسها القديم بالعجز ، لذلك لا ينبغي أن نلتمس عند المرأة أدبا خاصا له مقوّمات فنّيّة متميّزة ، و لكنّنا يجب مع ذلك أن نعترف لها باهتماماتها، التي تنبع من طبيعة ظروفها النّفسيّة و الاجتماعيّة . " (1)

لقد أدّت كثرة الآراء حول النّسويّة ، و عدم الاتّفاق على مسمى واحد ، إلى ظهور تسميّات مختلفة مثل أدب نسويّ ، أدب أنثويّ ، أدب نسائيّ ، نقد نسائيّ ... و بالتالي تعدّدت المفاهيم و المدلولات عند النّقّاد و الدّارسين .

1- الحركة الفكريّة النّسويّة في عصر النّهضة ، جورج كلاس ، ص 277.

الفصل الأول :

شاعرات الأندلس العصر

و البيئة

تمـــهيـــــــد:

لقد نبغ في التّاريخ الأدبيّ نساء كنّ غرّة في جبين الدّهر، و شموسا تضيء على أهل كلّ عصر، و إنّ المطّلع على الشّعر الأندلسي يلاحظ أنّه كانت هناك نهضة شعريّـة نسويه ، أسهمن في رسم الصّورة المشرقـة للحركة الأدبيّة في الأندلس ، يقـول الدّكتور الطّاهر مكّي : " و **في مجـال الإبداع الأدبيّ بخاصّة كان للمرأة حظّ وفيـر منه ، و هي ميزة فـاق بها الأندلس غيره من أصقـاع الإمبراطوريّة الإسلاميـّة** " . (1)
حيث شاركت المرأة الأندلسيّة في مختلف النّشاطات التي شهدتها أرض الأندلس أيّام الحكم الإسلاميّ ، من سيّاسيّة ، و اجتماعيّة ، وفنّيّة ، و اقتصاديّة ، و علميّة ، و أدبيّة . و كان لها دور بارز في تلك النّشاطات و أثر ملموس في الحياة العامّة ، و ذلك لما كانت تتمتّع به من حرّيّة و احترام و مكانة .

أمّا في مجـال الأدب فقد شـاركت في ضـروب النّشـاط الأدبي من الشّعـر و النّثـر و الموشـحـات ، و حـضور المجالس الأدبيّـة ، و المشاركـة في المعارضات و المساجلات الشّعـريّـة . (2)

كما كان لـها مساهمات فاعلة في علـوم الطبّ، و الصّيدلة ، و الفلك ، و الحساب

1- دراسات أندلسيّة في الأدب و التاريخ و الفلسفة ، طاهر أحمد مكّي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ،1987 ص77-78 .

2- ينظر قراءات فـي الشّعر الأندلسي ، صلاح جـرّار ، دار المسيـرة للنّشر و التّوزيـع ، عمـان ، ط 1 ، 2007، ص 17.

و التّأريخ ، و علم الكلام ، و الغناء .(1)

لذلك نستطيع القول بأنّ المرأة الأندلسيّة حظيت بمكانة مرموقة ، تميزت بها حتى بزّت أختها في المشرق الإسلامي ، هذا ما جعل "هنري بيرس" يؤكد أنّ "**المرأة الأندلسية كانت تتمتّع بوضعية أكثر ليبرالية من وضعية أخواتها في المشرق**". (2)

و قد أحصى "محمد المنتصر الريسوني " في كتابه "الشعر الأندلسي في الأندلس" خمسا و عشرين شاعرة أندلسية موزّعة على مختلف عصور الأدب الأندلسي، و أحصى "سعيد بوفلاقة" في كتابه " الشعر النسوي في الأندلس أغراضه و خصائصه الفنية " سبعا و عشرين شاعرة .(3) فكان عدد الشاعرات من الوفرة و النّضوج بحيث شكّل ملمحا بارزا من ملامح الشّعر الأندلسي .(4)

و يذهب "محمد حسن قجّة" في كتابه دراسات في التّاريخ و الأدب و الفنّ ، إلى أنّ انطلاقة الأدب النسوي ، تعود إلى فترة إمارة الأمويين و خلافتهم فيما بعد .(5)

سنقف عند أهم الشاعرات الأندلسيات ، وفي مختلف عصور الأدب الأندلسي و سنتعرّض كذلك لمختلف أشعارهنّ في ثنايا بحثنا هذا .

1- صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف المرابطين ، محمّد صبحي أسعد أبو حسين ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، د ط ، 2003 ، ص 36.

2-المرجع نفسه ،ص 32.

3- ينظر قراءات في الشّعر الأندلسي ،صلاح جرّار ، ص171.

4- ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ،دار العلوم للملايين ،ط4 ، 1979، ص 118 .

5- ينظر دراسات في التّاريخ و الأدب و الفنّ الأندلسي ، محمد حسن قجّه الدّار السعوديّة للنّشر و التّوزيع ، ط1 1985، ص 87 .

المبحث الأول: عصر الإمارة و الخلافة

يمتد عصر الإمارة من عام 138هـ حتّى 316هـ ، و هو العام الذي أعلن فيه عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة في قرطبة ، و بدأ بذلك الشّق الثاني من العهد الأموي و هو فترة الخلافة الّتي امتدّت حتّى عام 422هـ.

وفي فترة عصر الإمارة تحدّثنا كتب التّاريخ و الأدب عن ثلاث شواعر، هنّ **الجارية العجفاء ، وحسانه التّميمية، قمر البغدادية** (1).

1- الجارية العجفاء :

وهي وافدة من المشرق ،لا يعرف لها اسم حقيقي ، من شاعرات القرن الثّاني كانت العجفاء تقول الشّعر و تغنّيه و تعزف العود ، و يظهر من الصفة الّتي أطلقت عليها أنها كانت نحيلة هزيلة دميمة الوجه ، و لكنّها ساحرة البيان و الصّوت و العزف ، و كسائر القيان كانت تقول الشّعر الوجداني الغنائي، في مجال الغزل و الشّكوى .

و من شعرها قولها: (2)

بَرِحَ الخَفَاءُ، فَأَيُّمَا بِكَ تَكْتُمُ ⁂ وَ لَسَوْفَ يَظْهَرُ مَا تُسَرُّ فَيَعْلَمُ

مِمَّا تَضْمَنُ مِنْ عَزِيزٍ قَلْبِهِ ⁂ يَا قَلْبُ اِنَّكَ بِالحَسَانِ لَمُغْرَمُ

و يروي المقرّي في نفح الطيب "أنّ الأرقمي و أبا السائب شهدا مجلس شعر و غناء في دار سيّدها جعلهما يفقدان صوابهما إعجابا بشعرها و غنائها ، و قد سمع بها عبد الرحمن

1- ينظر قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرّار ، ص171 .

2- ينظر دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص89 .

الداخل ، فأرسل و اشتراها من سيّدها " . (1)

و ممّا أنشدته أمام الأرقمي و أبي السائب قولها:

يَـا طُـولَ لَيْلِي أُعَالِجُ السَّقَمَـا ⁂ اذْ حَلَّ كُلَّ الأَحِبَّـةَ الحَرَمَـا

مَا كُنْتُ أَخْشَى فِرَاقَكُمْ أَبَـدًا ⁂ فَاليَـوْمَ أَمْسَى فِرَاقَكُمْ عَزْمًا (2)

2 - حسـانـة التمـيـميـة :

تستحق هذه الشّاعرة لقب أول شاعرة ظهرت في أرض الأندلس ، على الرغم من أسبقية العجفاء عليها ، فحسانة كانت من الحرائر و ليست من القيان ، و هي مولودة في الأندلس و ليست وافدة .

نلمس في شعرها عزّة النّفس و إباء المرأة العربية و تماسكها ، فحسّانة لم تنغمس في حياة التّرف الأندلسية شأن من لحقها من الشواعر، و عن موضوعات شعرها فهي لا تختلف عن المشرق (3) .

و من أجود شعر حسانة ما تناقلته الكتب من قصـيدة لها في مديح الحكم "ابن هشام"

1- نفح الطيب ، شهاب الدين ، أحمد المقري التّلمساني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،د س ط، ج3 ص 138.

2- ينظر المصدر نفسه ، ص138.

3- ينظر دراسات في التّاريخ و الأدب و الفنّ الأندلسي، محمّد حسن قجّة ، ص 90 .

تستعطفه و تشكو إليه فقد أبيها و مرارة العيش بعده وهي قصيدة محكمة النّسج ، تشبه روائع الشعر المشرقي . تقول حسانة تخاطب الحكم : (1)

إِنِّي إِلَيْكَ أَبـاَ العَاصِي موجّـعـة ⁂ أَبَاَ الحُسَيْنِ ، سَقَتْهُ الوَ اكِفُ الِّديَّمُ

قَدْ كُنْتُ أَرْتَـعِ فِي نُعْمَاهُ عَاكِفَـةً ⁂ فَـاليَـوْمُ آوِي إِلَـى نُـعْـمَـاكَ يَـا حَـكَـمُ

أَنْتَ الإِمَامُ الذِي انْقَاذَ الأَنَامُ لَهُ ⁂ وَ مَلَّـكْتَـهُ مَقَـالِيـدَ النّهَى الأُمَـــمُ

لاَ أَخْشَى إِذَا مَا كُنْتَ لِي كَنَفًا ⁂ آوِي إِلَيْـه وَ لَا يَـعْـرُوِنـي العَـــدَمُ

لَازِلْتُ بِالعِزَّةِ القَعْسَاءُ مُرْتَـدِيًا ⁂ حتَّى تَذِلَّ إِلَيْكَ العَرَبُ وَ اَلعَجَمُ (2)

3- قمـــر البغـداديـــة:

هي جارية وفدت من الشرق عاشت في القرن الثالث الهجري ، حافظة للشّعر و الأدب ، و كانت تنشد الشعر و تغنّيه في قصر سيّدها إبراهيم بن الحجّاج.

وقد عاصرت قمر ابن عبد ربه الشاعر والأديب الأندلسي المشهور صاحب "العقد الفريد" .

تقول قمر تمدح مولاها إبراهيم بن الحجاج : (3)

مَا فِي المَغَارِبِ مِنْ كَرِيمٍ يَرْتَجِي ⁂ إِلَاّ حَـلِيـفُ الجُـــودِ إِبْـرَاهِيـــمُ

1- ينظر قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرّار ، ص175.

2- ينظر الأدب الأندلسي ، سامي أبو زيد،دار المسيرة للنّشر و التّوزيع ، عمان، ط1، 2012 ، ص233 .

3- ينظر دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ،محمد حسن قجة ، 93 .

إنِّي حَلَلْتُ لَدَيْـهِ مَنْزِلَ نِعْمَـةٍ ⁂ أَكُـلُّ المَنَـازِلِ مَاعَـدَاهُ ذَمِـيمُ

إن الحنين إلى مرابع الصّبا شعور إنساني عميق نبيل في نفس كلّ إنسان ، ولطالما عبّر عنه الشعراء بصدق و شفافية ، و هاهي قمر تحنّ إلى العراق و بغداد فتنشد : (1)

آهِ عَلَى بَغْـدَادٍ وَ عِرَاقِـهَـا ⁂ وَ ظِبَائِهَا وَ السِّحْرُ عَلَى أَحْدَاقِهَا

وَ مَجَالُهَا عِنْدَ الفُرَاتِ بِأَوْجُـهٍ ⁂ تَبْــدُو أَهِلَّتُـهَا عَـلَى أَطْوَاقِــهَـا

مُتَبَخِّرَاتٌ فِـي النَّعِيـمِ كَأَنَّمَا ⁂ خُلِقَ الهَوَى العُذَرِي مِنْ أَخْلاَقِهَـا

نَفْسِي الفِدَاءُ لَهَا فَأَيُّ مَحَاسِنٍ ⁂ فِي الدَّهْرِ تُشْرِقُ مِنْ سَنَا إِشْرَاقِهَا

نأتي الآن إلى شواعر عصر الخلافة الذي هو امتداد واضح لعصر الإمارة في ملامحه ، لكنّه أكثر التصاقا بالسّمات الأندلسية التي بدأت تتضح في الحياة الاجتماعية و الفكرية والأدبية.

أفرزت الحياة الجديدة اتجاهات في الشعر، جديدة إلى جانب المحافظة على الاتّجاه المحافظ و لنستعرض معا أسماء بعض شاعرات تلك المرحلة ، مرحلة الخلافة الأموية في قرطبة .

1- عائشـــة الـقرطبيـة :

من شاعرات القرن الرابع الهجري ، لم يكن في زمانها من حرائم الأندلس من يعدلها علما و فهما و أدبا وشعرا و فصاحة ،عرفت بتعدد مواهبها، فهي حسنة الخط تكتب المصاحف، و شاعرة قديرة ترتجل الشعر ارتجالا . (2)

1- ينظر شاعرات الأندلس و المغرب ، فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دط، ص45.

2- ينظر الأدب الأندلسي ،سامي أبو زيد ، ص234 .

من مدائحها المرتجلة قولها و قد دخلت على المظفر بن الحاجب المنصور، و بين يديه أحد أبنائه ، فنظرت الى الولد و قالت :

أَرَاكَ اللـهُ فِيـهِ مَـا تُـرِيـد ⁂ وَ لاَ بَرَحَـت مَعَـالِيـه تَزِيـدُ

فَـقَـدْ دَلَّتْ مَخَايِلُهُ عَلىَ مَـا ⁂ تُؤْمِـلُـهُ وَ طَـالِعُـهُ السَّعِيـدُ

تَشَوَّقَتِ الجِيَادَ لَهُ وَ هُزَّ الحُ ⁂ سَـامُ هَـوَى وَ أَشْرَقَتِ البُنُودُ (1)

و لا شكّ أنّ في الأبيات صورا مبالغا من المديح شأن أكثر شعر المديح في تاريخ أدبنا العربي ، و لكنّها أبيات قويّة جميلة و بخاصّة أنّها مرتجلة .

2- حفصة بنت حمدون الحجازيّة :

دعيت بذلك نسبة إلى مقامها في (وادي الحجارة) قرب مدريد ، و هي شاعرة عاشت في القرن الرّابع للهجرة ، كانت ذات جاه و مكانة في بلدها ،كان لها شعر كثير لم يصلنا إلاّ القليل منه ، و قد عنيت بالفخر (2) ، و كانت أوّل أندلسيّة تقول الغزل ، و هي في غزلها لا تنسى أن تتيه بنفسها كامرأة تقول:

لِي حَبِيـبٌ وَ لاَ يَـنْثَنِي لِعِتَـابٍ ⁂ وَ إِذَا مَـا تَـرَكْـتُـهُ زَادَ تِـيـهًـا

قَالَ لِي هَلْ رَأَيْتَ لِي مِـنْ شَبِيــهٍ ⁂ قُلْتُ أَيْضا وَ هَلْ تَرَى لِي شَبيهًا (3)

1- ينظر نفح الطيب ، المقري ، ج6 ، ص 26

2- ينظر دراسات في التّاريخ و الأدب و الفنّ الأندلسي ، محمّد حسن قجّة ، ص 95.

3- ينظر المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ، 2009، ج 2 ص 37.

و تقول تشكو بلادة خدمها :

يَا رَبُّ إِنـي مِـنْ عَبِيـدِي عَلَى ⁂ جَمْرِ الغَضَا مَا فِيهِم مِن نَجِيبٍ

أَمَا جَهُولٌ أَبْلَهٌ مُتْعَبٌ ⁂ أَو فَطِنٌ مِنْ كَيْدِهِ لاَ أَخِيبُ (1)

3- الغسّانيّة البجانيّة :

هكذا ورد اسمها ، و هي من بجانة قرب المريّة ، عاشت بين القرنين الرّابع و الخامس للهجرة ، تميّز شعرها بالأصالة و العمق و الوقار و الرّقة مع الكبرياء ، إذ عدّت شاعرة متمرّسة (2) ولم يصلنا من شعرها إلاّ القليل ، يتراوح بين الشكوى و الغزل و المديح (2). تقول في مقدّمة مديحها للأمير خيران العامري :

أَتَجْزَعُ إِنْ قَالُوا سَتَرْحَلُ أَضْعَانٌ ⁂ وَ كَيْفَ تُطِيقُ الصَّبْرَ وَيْحَكَ إِنْ بَانُوا

وَ مَا هُوَ إِلاّ المَوْتُ عِنْدَ رَحِيلِهِمْ ⁂ وَ إِلاَّ فَصَبْرٌ مِثْلَ صَبْرٍ وَ أَحْزَانُ

عَهِدْتُم وَ العَيْشُ فِي ظِلِّ وَصْلِهِمْ ⁂ أَنِيقٌ وَ رَوْضُ الدَّهْرِ أَزْهَرُ رَيَانُ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَ الفِرَاقُ يَكُونُ ، هَلْ ⁂ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ كَمَا كَانُوا؟(3)

و هي أبيات نلتمس فيها مسحة الأسى ، و ألم الفراق ، و الصّبر عليه ، تختفي وراءها كبريّاء النّفس.

1-ينظر المصدر السابق ، ص 38.

2- الشاعرات الأندلسيات في عصر ملوك الطوائف ، محمد أحمد القضاة ، الأردن ، 1994 ، العدد السابع ، ص22 .

3- ينظر شاعرات المغرب و الأندلس ، فوزي عيسى ، ص 244 .

4- مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري:

شاعرة متديّنة على الرغم من حياة اللّهو و المجون التي كانت تعيشها مدينة إشبيلية ، كانت تمارس تعليم النّساء، شبّهت بمريم العذراء دلالة على الاحترام و الإجلال و الورع وبالخنساء في الشعر (1)

عرفت بأنّها شاعرة مديح ، ، فمدحت عبيد اللّه بن محمّد المهدي الأموي ، و كان يجيزها من ماله ، و يساجلها شعرا و تساجله، و يخلع عليها من أدبه (2) . إذ تقول :

مَنْ ذَا يُجَارِيكَ فِي قَوْلٍ وَ فِي عَمَلٍ ⁂ وَ قَدْ بَدَرْتَ إِلَيّ وَ لَمْ تُسَل

مَالِي بِشُكْرِ الذِي نَظَّمَتَ فِي عُنُقِي ⁂ مِنَ اللاَّئِي وَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ قِبَلِي

حَلَّيْتَنِي بِحُلًى أَصْبَحْتُ زَاهِيةً ⁂ بِهَا عَلَى كُلِّ أُنْثَى مِنْ حُلَى عُطَلِ (3)

و من جميل شعرها قولها و قد أدركت سنّ الشّيخوخة ، معبّرة عن آلامها و همومها قائلة :

وَ مَا تَرْتَجِي مِنْ بِنْتِ سَبْعِينَ حِجَّةً ⁂ وَ سَبْعٌ كَنَسِيجِ العَنْكَبُوتِ المُهَلْهِلِ

تَدِبُّ دَبِيبَ الطِّفْلِ تَسْعَى إِلَى العَصَا ⁂ وَ تَمْشِي بِهَا مَشْيَ الأَسِيرِ المُكَبَّلِ (4)

1- الشاعرات الأندلسيات في عصر ملوك الطوائف ، محمد أحمد القضاة ، ص 30.

2-ينظر تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق ، الرّافعي ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 ،ج 2 ص253.

3- ينظر نفح الطّيب ، المقري ج 1 ، ص 149.

4- ينظر المصدر نفسه ، ص151.

المبحث الثّاني : عصر ملوك الطّوائف:

شهد هذا القرن فيضا من الشّواعر ، بحيث ازداد الشّعر انتشارا ، لما أولاه الحكّام من عنايه ، و لما كان هنالك من حركة علميّة و أدبيّة هي أشبه بشيء بحركة أوائل العهد العبّاسي في الشّرق فتنوّعت موضوعات الشعر و بدأت تتّخذ طابعهما الأندلسي المتميّز . (1)

و لا شكّ أنّ أولى شاعرات هذا العصر هي " ولاّدة بنت المستكفي " الأميرة الأمويّة ، بل هي أبرز وجوه الأدب و الشّعر النّسوي في الأندلس قاطبة زمانا و مكانا (2). وسنفصل في الحديث عنها في فصل كامل .

تتحدّث كتب الأدب عن ثلاث شواعر عرفتهنّ مدينة " المريّة " * خلال القرن الخامس ، و أولى الشّاعرات :

1- أمّ الكرام بنت المعتصم بن صمادح :

و هي شاعرة أميرة ، و ابنه صاحب المريّة و أحد ملوك الطّوائف ، اعتنى والدها بتأديبها حتّى تخرّجت شاعرة تنظّم الشّعر الرّقيق و الموّشّحات (3).

و لم يصل إلينا من شعرها إلاّ نزر قليل ، يدور حول الغزل الصّريح بما فيه من لوعة الحبّ ، و جرأة على الخلوة بمحبوبها فتقول :

1-ينظر الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1986،ص938.

2- دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص243.

3- الأدب الأندلسي ، سامي أبو زيد ، ص243 .

* المرية: هي دولة تقع على الساحل الجنوبي المتوسط جنوب شرقي غرناطة .

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ أَلَا فَاعْجِبُوا ⁂ بِمَا جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ

لَوْلَاهُ لَمْ يَنْزِلْ بِبَدْرِ الدُّجَى ⁂ مِنْ أَفْقِهِ العلَوِي لِلتُّرْبِ

حَسْبِي بِمَنْ أَهْوَاهُ لَوْ أَنَّهُ ⁂ فَارَقَنِي تَابَعَهُ قَلْبِي(1)

و الشّاعرة الثّانيّة هي :

2- زينب المريّة :

قد ورد ذكرها في المغرب لابن سعيد ، و في النّفح للمقري ، من غير ذكر لولادتها أو وفاتها ، و يروى عنها أنّها ابنة أحد مشاهير العرب ، و كانت ذات حسن و جمال و بهاء و كمال وأدب ، رقيقة المعاني ، جزلة الألفاظ . (2) لكن لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات تخاطب صاحبها بضمير المفرد الغائب فتقول :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الغَادِي بِطَيَّتِهِ ⁂ عَرِّجْ أُنَبِّئْكَ عَنْ بَعْضِ الذِي أَجِدُ

مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ تَضَمَّنَهُمْ ⁂ إِلّاَ وَ وَجْدِي بِهِمْ فَوْقَ الذِي وَجَدُوا

حَسْبِي رِضَاهُ وَ أَنِّي فِي مَسَرَّتِهِ ⁂ وَ وُدِّهِ آخِرَ الأَيَّامِ أَجْتَهِدُ (3)

3 - غاية المنى :

و هي قينة كما يظهر من اسمها ، و قد جيء بها إلى المعتصم بن صمادح ملك المرية ،

1-المغرب في حلي المغرب ، ج2 ، ص 203 .

2 - الأدب الأندلسي ، سامي أبو زيد ، ص 242 .

3- نفح الطيب المقري ، ج 6 ، ص 22 .

و كان يبحث عن قينة شاعرة و أراد أن يمتحنها ، و في الواقع فإن أمثال هذه الجارية كنّ كثيرات في المجتمع الأندلسي ، و لكن كتب الأندلس لم تحفظ لنا كثيرا من أخبارهن و نوادرهن و أشعارهن ، و لا نقع في هذه الكتب على أخبار أخرى لغاية المنى هذه .(1)

و في إشبيلية المدينة الباذخة المترفة ، تظهر شاعرتان في بني عباد هما اعتماد زوجة المعتمد و بثينة ابنته .

4- بثينة بنت المعتمد بن عباد :

يروى عن هذه الشاعرة أنها سبيت لما حلّت النكبة بأبيها و أخذه المرابطون أسيرا إلى سجن أغمات بمراكش ، فأصبحت من جملة العبيد تباع في الأسواق ، فاشتراها رجل من إشبيلية ، ثم وهبها لابنه ، و لكنه لما أراد الزواج منها امتنعت (2)، و أعلنت عن نفسها و قالت له لا يكون ذلك إلا بموافقة أبي ، ثم كتبت إلى أبيها قائلة :

اِسْمَعْ كَلاَمِي وَاِسْتَمِعْ لِمَقَالَتِي ⁂ فَهِيَ السُّلُوكُ بَدَتْ مِنَ الأَجْيَادِ

لاَ تُنْكِرُوا أَنِّي سُبِيْتُ وَ أَنَّنِي ⁂ بِنْتٌ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ قَدْ تَوَلّى عَصْرُهُ ⁂ وَ كَذَا الزَّمَانُ يَؤُولُ لِلإِفْسَادِ

لَمّا أَرَادَ اللَّهُ فُرْقَةَ شَمْلِنَا ⁂ وَ أَذَاقَنَا طَعْمُ الأَسَى عَنْ زَادٍ

قَامَ النِّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مُلْكِهِ ⁂ فُدْنَا الفِرَاقَ وَ لَمْ يَكُنْ بِمُرَادٍ

1- ينظر دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، 145 و 146.

2- قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرار، ص 181.

فَخَرَجْــتُ هَارِبَــةً وَ حَــازَنِــي اِمْرُؤٌ ⁂ لَمْ يَـأْتِ فِـي إِعْجَالِـهِ بِسَـدَادِ

إِذْ بَـاعَنِـي بَيْــعَ العَبِيـدِ فَضَمَّنِـي ⁂ مَـنْ صَانَنِـي إِلاَّ مِـنَ الأَنْكَــادِ

وَ أَرَادَنِـي لِنِكَــاحِ نَجْـلٍ طَــاهِــرٍ ⁂ حَسَـنُ الخَلاَئِقِ مِنْ بَنِي الأَنْجَـادِ

وَ مَضَى إِلَيْكَ يَسُومُ رَأْيَكَ فِي الرِّضَى ⁂ وَ لأَنْتَ تَنْظُرُ فِي طَرِيقِ رَشَـادِي

فَـعَسَـاكَ يَـا أَبَـتِي تُعَـرِّفُـنِــي بِــهِ ⁂ إِنْ كَـانَ مِمَّــنْ يَرْتَجِـي الـوِدَادَ

وَ عَسَى رَمِيكِيَّــةَ المُلُـوكِ بِفَضْلِهَـا ⁂ تَدْعُـو لَنَـا بِاليُمْـنِ و الإِسْعَـادِ (1)

و عندما وصلت الأبيات إلى أبيها و هو في المنفى بأغمات ، سُرَّ هو و أمّها سرورا عظيما ، حين عرفا أن ابنتهما مازالت حية ، فكتب إليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها :

بُنَيَّتِي كُونِــي بِــهِ بَرَّةً ⁂ فَـقَدْ قَضَــى الدَّهْرُ بِإِسْعَافِـهِ (2)

5- نزهــون الغرنـاطيـــة :

واسمها الكامل نزهون بنت القلاع ، و هي من شاعرات القرن الخامس الهجري عرفت بأنّـها ماجنة كثيرة النـوادر (3) إذ هجت عددا من الشعراء منهم ابن قزمان الشاعر الزجـال ،

1- نفح الطيب المقري ،ج 6 ، ص 20 .

2- المصدر نفسه ، ص22.

3- الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر و التوزيع ، الأردن ،ط3 ، 2008 ، ص194.

و الأعمى المخزومي ، و وصف بخفة الروح و الانطباع الزائد و الحلاوة ، و كانت جريئة في غزلها (1) ، من ذلك وصفها لإحدى لياليها ، و الحلاوة ، و حظ الشعر و المعرفة بضرب الأمثال مع جمال فائق و حسن رائق .

لِلَّـهِ دُرُّ اللَّيَالِي مَا أُحَيْسَنَهَا ⁂ وَ مَا أُحَيْسَنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الأَحَدِ

لَوْ كُنْتَ حَاضِرَنَا فِيهَا وَ قَدْ غَفَلَتْ ⁂ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ

أَبْصَرَتْ شَمْسُ الضُّحَى فِي سَاعِدِي قَمَرُ ⁂ بَلْ رِيمُ خَازِمَةٍ فِي سَاعِدِي أَسَدُ (2)

و هي أبيات تنم عن أصالة فنّية و موهبة خصبة أمدّتها بالشعر الرائق في محيط نشأتها و المجتمع الذي وضعت نفسها فيه.

1- ينظر المرجع السابق ، ص 195.

2- المصدر نفسه ، ص31.

المبحث الثالث: عصر الطّوائف و الموحدين.

توقّفنا في محطة سابقة في مدينة غرناطة دمشق الأندلس كما تسمى و قبل أن نغادرها ، لابدّ أن نعرّج على شاعرة أخرى ، كانت معاصرة لنزهون الغرناطية ، و لكنّها على نقيضها في أسلوبها في الحياة ، و في الشّعر .و شاعرتنا هي :

1 – حمدونة بنت زياد المؤدب :

و يقال لها حمدة من واد آش ، و هي بلدة قريبة من غرناطة ، لقّبت بخنساء المغرب ، لقوّة شعرها و سموّ إبداعها ، و لها شعر مطرب . (1) عرفت بأنّها من المتأدّبات المتصوّفات المتغزّلات المتعفّفات ، و هي صفات خلعها عليها ابن الأبّار ، و ذكر اسمها كاملا و هو حمدة بنت زياد بن يقيّ العوفي المؤدّب . (2)

و من غزلها الرّقيق :

وَ لَمَّا أَبَى الوَاشُونَ إِلَى فِرَاقِنَا ⁂ وَ مَا لَهُمْ عِنْدِي وَ عِنْدَكَ مِنْ ثَارِ

وَ شَنُّوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ ⁂ وَ قَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَ أَنْصَارِي

غَزَوْتَهُم مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَ أَدْمُعِي ⁂ وَ مِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَ السَّيْلِ وَ النَّارِ (3)

1- تاريخ آداب العرب مصطفى ، صادق الرافعي ، ص 281.

2- الأدب الأندلسي ، سامي يوسف أبو زيد ، ص 236.

3- نفح الطيب ، المقري ، ج 1 ، ص 23.

تطرّقت الشّاعرة في هذه الأبيات إلى الغزل، إذ جاء أقلّ انسيابا و عفويّة و أكثر تكلّفا و تصنيعًا. و ربّما يكون السبب أنّها ربيت على الحياة الجادّة و الأخلاق، فلم يعرف عنها أيّ لون من ألوان الانحراف بل كانت من المتصوّفات بعفّة.

2 – أمّ العلاء بنت يوسف الحجاريّة :

كانت أم العلاء استمرارا لحفصة الحجاريّة ، في غزلها العفيف الرصين المتأدب .

قالت في أبيات غزل :

كُـلُّ مـَـا يَصْدُرُ مِنْكُــمْ حَسَنٌ ⁂ وَ بِعَـلْيَـاكُمْ تَحَلَّى الزَّمَـنُ

تَعْطِـفُ العَيـْنُ عَلَى مَنْظَرِكُـمْ ⁂ وَ بِـذِكْـرَاكُــمْ تَـلِــذُّ الأُذُنُ

مَنْ يَعِـشْ دُونَكُـمْ فِـي عُمْـرِهِ ⁂ فَهُـوَ فِي نِيلِ الأَمَــانِي يَغْبنُ (1)

و من جميل قولها في الاعتذار :

اِفْهَمْ مَطَارِحَ أَحْوَالِي وَ مَا حَكَمَتْ ⁂ بِـهِ الشّـَوَاهِـدُ وَ اعْذُرْنــِي وَ لَا تَلُـمْ

وَ لَا تَكِلْــنِي إِلَــى عُــذْرٍ أُبَيّـِنُـهُ ⁂ شَــرُّ المَعَــاذِيـرِ مَــا يَحْتَاجُ لِلْـكَلِـمِ

وَ كُــلَّ مَـا جِئْتَـهُ مِنْ ذَلَّـةٍ فَبِـمَا ⁂ أَصْبَحَــتَ مِنْ ثِقَـــةٍ مِنْ ذَلِكَ الكَــرَمِ (2)

3 – قسمونة بنت إسماعيل :

1- المغرب في حلى المغرب ج 2 ، ص 38.

2- نفح الطيب المقري ج 5 ، ص 301 .

يهوديّة ورد ذكرها في نفح الطيب في سياق شعراء غرناطة ، ممّا يغلب على الظّن على أنّها كانت غرناطيّة من القرن السابع الهجري و قصّتها مع الشعر بدأت ، حينما طلب أبوها أن تُجيزَ بيتًا قاله . وهو :

لِي صَاحِبٌ ذُو بَهْجَةٍ قَدْ قَابَلْتٌ ⁂ نِعَمِي بِظُلِمٍ وَ اسْتَحَلْتُ جُرْمَهَا (1)

فأجابته قسمونة :

كَالشَّمْسِ مِنْهَا البَدْرُ يَقْبِسُ نُورَهُ ⁂ أَبَدًا وَ يَكْسِفُ بَعْدَ ذَلِكَ جُرْمَهَا (2)

ففرح بها والدها أعظم فرح و قام إليها يقبل رأسها.(3)

كما نلمس في شعرها نغما حزينا ينبّئنا عن إحساسها بالوحدة و الحرمان ، فقد نظرت إلى المرآة ذات يوم ، و هي في ريعان شبابها ، و لم تتزوج بعد فأنشدت :

أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ منها قِطَافُهَا ⁂ وَ لَسْتُ أَرَى جَانٍ يَمُدُّ لَهَا يَدَا

فَوَا أَسَفًا يَمْضِي الشَّبَابُ مُضَيَّعًا ⁂ وَ يَبْقَى الذِي مَا إِنْ أُسَمِّيهِ مُفْرَدَا (4)

و تجذر الإشارة إلى أنّ اليهود عاشوا في الأندلس ، في ظل التّسامح الديني الذي عرف به المسلمون ، و كانت غرناطة مليئة بهم .

1- المصدر السابق ، ص 302.

2- نفح الطيب ، المقري ، ص 302 .

3- ينظر دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص198 .

4- المصدر السابق ، ص73.

4 - أسمــاء العــامريّـــة

هي من مدينة إشبيلية ، و يُرْوَى لها أبيات لعبد المؤمن بن علي أمير الموحدين تستعطفه وترجوا الإفراج عن أموال لها ، فتقول :

عَرَفْنَا النَّصْرْ وَ الفَتْحَ المُبِينَ ⁂ لِسَيِّـدِنَـا أَمِيــرُ المُؤْمِنِــينَ

إِذَا كَانَ الحَدِيثُ عَنِ المَعَالِي ⁂ رَأَيْتُ حَدِيثَكُمْ فِينَا شُجُونَا

رَوَيْتُــمْ عِلْمَـــهُ فَعَلمْتُمُــوهُ ⁂ وَ صُنْتُمْ عَهْدَهُ فَغَدَا مَصُونَا (1)

5 - الشـلبيّـــــة :

عاشت بين القرينين السادس و السابع للهجرة ،لم يذكر الروّاة اسمها الحقيقي و اكتفوا بنسبها إلى مدينة شلب غربي الأندلس . (2)

و يَرْوِي لها النفح نصّا جريئا ، تُخاطب به يعقوب المنصور ، أحد سلاّطين دولة الموحدين تشكو ظلم صاحب الخراج ببلدها، وقد استجاب المنصور لشكواها ، و أمر برفع الظّلم عن بلدها، تقول في أبياتها:

قَـدْ آنَ تَبْـكِي العُيُونُ الآبيّة ⁂ وَ لَقَدْ أَرَى أَنَّ الحِجَارَةَ بَاكِيَّةٌ

يَا قَاصِدَ المِصْرِ الذِي يُرْجَى بِهِ ⁂ إِنْ قَـدَّرَ الرَّحْمَنُ رَفْعَ كَرَاهِيَّةٍ

1- نفح الطيب ، المقري ، ص 75 .

2- دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص 199 .

شَلَبْ كَلاّ شَلَبْ وَ كَانَتْ جَنَّةً ⁂ فَأَعَادَهَا الطَّاعُونُ نَارًا حَامِيَّة

خَافُوا وَ مَا خَافُوا رَبَّهُمْ ⁂ وَ الله لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَّة (1)

6 – أمّ الهنـاء القرطبيّـة :

من شاعرات القرن السّادس، و كانت مقلّة ، حاضرة النّداء ، سريعة التمثّل، من أهل العلم و العقل و الفهم. (2) و لها تآليف ، و غزل رقيق بعيد عن فحش القول. (3)

إذ تقول :

جَاءَ الكِتَابُ مِنَ الحَبِيبِ بِأَنَّهُ ⁂ سَيَزُورُنِي فَاسْتَعْبَرَتْ أَجْفَانِي

غَلَبَ السُّرُورُ حَتَّى أَنَّهُ ⁂ مِنْ عِظَمِ فَرْطِ مَسَرَّتِي أَبْكَانِي

يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكِ عَادَةً ⁂ تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَ فِي أَحْزَانِ

فَاسْتَقْبِلْنِي بِالبِشْرِ يَوْمَ لِقَائِهِ ⁂ وَ دَعِي الدّمُوعَ لِلَيْلَةِ الهِجْرَانِ (4)

فقد عبّرت عن مشاعرها ببراءة العذاري ، و وشت أبياتها بلون من البديع فطابقت بين السرور و البكاء ، و الفرح و الأحزان ، و اللّقاء و الهجران .

---

1 - نفح الطيب المقري ج 6 ، ص 28 .

2 - الأدب الأندلسي سامي أبو زيد ، ص 235.

3 - الشّعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، محمد مجيد السّعيد ، ص 195.

4- المصدر السابق ، ص29 و 30 .

7 – حفصة الرّكونيّة :

اسمها الكامل حفصة بنت الحاج ، شاعرة الأندلس في القرن السادس للهجرة ، اشتهرت بجمالها و أدبها فوصفها ابن الخطيب بأنّها " فريدة الزّمان في الحسّ و الظّرف و الأدب ". (1)

عرفت بذكائها و بديهيتها الحاضرة ، من ذلك أنّها ارتجلت أبياتا بين يدي الملك عبد المؤمن بن علي ، و كانت تعمل مؤدّبة لنسائه . تقول :

يَـا سَيّـدَ النَّـاسِ يـَا مَـنْ　⁂　يـُؤَمِّــلُ النَّـــاسَ رِفْـدَهُ

أَمْنِـــنْ عَلَـــيَّ بِـطِـرْسٍ　⁂　يَكُـونُ لِلدَّهْــرِ عُـــدَّهُ

تَخُــطُّ يُمْنَــاكَ فِيـــهِ　⁂　" الحَمْــدُ لِلَّــهِ وَحْــدَهُ " (2)

فقد ضمنت في البيت الأخير، شعار دولة الموحدين " الحمد للّه وحده " . و قد ارتبط اسمها بالوزير الشاعر الكاتب أبي جعفر بن سعيد وزير بني عبد المؤمن ،حيث كانت تربطهما علاقة حب و ودّ . (3) فنراها تبعث بأبيات إليه ، و قد استبد بها الشوق :

أَزُورُكَ أَمْ تـَزُورُ فَـإِنَّ قَـلْبِـي　⁂　إِلَى مَا تَشْتَهِي أَبَداً مَا يَمِيلُ

وَ قَدْ أُمِّنْتَ أَنْ تَظْمَى وَ تَضحَى　⁂　إِذَا وَافَــى إِلَيَّ بِـكَ القَبُولُ

1- الشعر في عصر الموحدين ، فوزي عيسى ، كليّة الآداب جامعة دار الوفاء لدينا الطّباعة و النّشر، الإسكندرية ،ط 1 ، 2007 ، ص 115.

2- نفح الطيب ، ص 31 .

3- ينظر قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرّار ، ص 178.

فَعَجِّلْ بِالجَوَابِ فَمَا جَمِيلُ ⁂ أَنَاتُكَ عَنْ بُثَيْنَةَ يَا جَمِيلُ (1)

و يجيبها ابن سعيد جوابا ، نلمس فيه اتزان الرّجل الوقور:

أَجَلّكُم مَا دَامَ بِي نَهْضَةٌ ⁂ عَنْ أَنْ تَزُورُوا إِنْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ

مَا الرَّوْضُ زَوَّارًا وَ لَكِنَّمَا ⁂ يَزُورُهُ هَبُّ النَّسِيمِ العَلِيلِ (2)

و خلاصة القول إنّ ما ورد من ذكر للشاعرات الأندلسيّات في العصور الثلاثة كان على سبيل التّمثيل لا الحصر إلاّ أنّ هناك أعدادًا كبرى من الشواعر، لا سبيل إلى الحديث عنهنّ و ذلك لقلّة ما تركن من آثار أو نُدْرة ما ورد عنهنّ من أخبار .

و رغم ذلك فقد أسهمت المرأة في حركة الأدب النسوي ، إذ ظهرت بواكير الشّعر النسوي في الأندلس من الجواري الوافدات من المشرق ، منذ القرن الثاني للهجرة ، و كنّ يتسرّبن إلى دور الحريم في القصور ، ثمّ أخذ يزدهر مع ظهور ملوك الطوائف ، سواء عند الحرائر من بنات الملوك و الأمراء، أو من بنات الشعب، و الجواري بمختلف طبقاتهنّ، و من هنا " ظهر لونان من الأدب: أدب الجواري و القيان، و أدب الحرائر " (3)

كما كانت الأغراض الشّعريّة التي نظمت فيها تدور حول الغزل و المديح و وصف الطّبيعة و الهجاء و الشّكوى ، و يتراوح غزلهنّ بين الغزل العفيف الرّقيق ، و الغزل الصّريح الذي يتّسم بالجرأة و التّطرف و الإثارة ، مع بعض التّفاوت بينهنّ ، من حيث الصّنعة البديعيّة

1- المغرب في حلى المغرب ، ج 5 ، ص 368.

2- المصدر نفسه ، ص 369.

3- الأدب الأندلسي ، سامي أبو زيد ، ص 244.

و الصّور الفنّيّة و التّشبيهات ، و هو في الإجمال يميل إلى الاعتدال، و يخلو من الغلو .

و الذي يقرأ أشعار النّساء الأندلسيّات يجدها قصيرة النَّفْس ، و أكثرها مقطّعات ،و لا يقف على قصائد مطولات في مختلف الأغراض الشعريّة .

و مما يلاحظ عليه كذلك أنّ منهنّ من ترسّم على خطى الشّعراء من السلف في أساليبهم و صورهم و لغتهم و تعبيراتهم ، و منهنّ من يميل إلى الرّقة و التّجديد في الصّوّر و اللّغة و الأساليب .

لذلك يمكن القول إنّ شعر المرأة الأندلسيّة يكشف لنا من جوانب من حياة المرأة في الأندلس و شخصيّتها ، و لاسيما جرأتها و تحرّرها ، و اعتدادها برأيها و استقلاليّتها و اختلاطها بالرّجال في المجالس العامّة، و مجالس الأدب و بلاط الملوك ، و السّلاّطين و غير ذلك ممّا تشهد عليه الرّوايات التّاريخيّة و الأشعار الصّادرة عن النّساء .

الفصل الثاني :

النّبوغ الشعري عند ولادة بنت المستكفي

تمـــهيـــــــد :

يُعَدُّ عصر ملوك الطوائف عصر ازدهار الشعر و تطوره ، و من أبرز شواعر هذا العصر ولّادة بنت المستكفي .

امتازت هذه الشاعرة ببراعة في عالم الشعر ، و تميزت في دنيا الناس ، و تحررت من مواضعات المجتمـع ، فهي أميـرة و ابنة خليفة ، و سارت بأخبارها الأيام ، شاعرة رقيـقة ، و عاشقـة جريئة ، و نـالت من الشهـرة فوق ما تتمنى (1). حتى أجمع عليها المؤرخون أنّها " **أول نساء عصرها** " (2) لأنّها اقتحمت عالم المجد عن طريق الحب ، و لم تركب له الكلمة أو البيت أو القصيد فحسب . و قد حظيت بالاهتمام و الدراسة من قبل الدارسين ، لارتباطها بالشاعر ابن زيدون الذي نظم معظم شعره فيها ، فقد ألهمه حبه لولّادة نظم أروع القصائد فيها ، و التي بدورها ساعدت الدارسين بالتعرف على هذه الشاعرة . و في هذا الفصل سنكتشف شاعرتنا أكثر من خلال ثقافتها وفكرها ، و نتعرف على شخصيتها من قبل ما نظمته من أشعار .

1- ينظر دراسات أندلسية في الأندلس ، الطاهر محمد مكي ، ص 78.

2- دراسات في تاريخ الأدب العربي ، أغناطيوس كراتشو فسكي، دار النشر علم موسكو ، د ط ، 1965 ص116.

المبحث الأول: عصر ولادة بنت المستكفي.

رغم استمرارية الأندلس في انقساماتها ، و تفرّقها إلى دويلات صغيرة استقل كل رئيس بإمارته، حتى عُرِفَ هذا العصر بعصر دول أو ملوك الطوائف (1).

و الذي تميز باضطراب الحالة السياسية ، و فوضى الخلافة و الفتنة التي عمت البلاد .(2)

لكن ما كان المجتمع الأندلسي في هذا العصر مُجْتَمَعًا مُنْقَطِعًا ، لما توفر له من مستوى علمي رفيع ، فهذا المجتمع مجتمع مسلم ، نشأ محبا للعلم و أهله ، فطر أبناؤه على ذلك .

و من خير ما قَدَّمَ عصر الطوائف ، النّتاج الغزير الوفير ، و المشرق المبدع في مختلف الميادين، فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات و الأصول ، التي وصلنا بعضها .(3)

و الحق أن توفر هذا المستوى و الإنتاج العلمي أيام الطوائف يستأهل اهتمام الدارس ، و فضول الباحث ، إذ هذه الفترة أحيطت بالمخاطر و تحولت إلى معارك أو امتلأت بالمشاكل و انشغلت بالانقسام فأوجدت عدم الاستقرار ، نجد في الكثير منها هذه النوعية و الكمية من الإنتاج الرفيع و من شخصيات ، هي عنوان الأمة الحية و فخرها الماجد .(4)

1- ينظر الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف ، محمد شهاب العاني، دار دجلة عمان ،ط 1، 2010 ص80.

2- المرجع نفسه ، ص100.

3- ينظر التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن على الحجّي ، دار القلم بيروت ، ط2، 1981، ص 411.

4- ينظر المرجع نفسه ، ص 412.

فالجو الفكري و الروح العلمية ، التي اتّسمت بالخلق العلمي و آدابه و الرغبة في التّحصيل ، و الأخذ بأسبابه و البذل فيه و السّخاء في تقديمه محبّة و استجابة ، هذا كلّه مهم في تعليل هذه الظاهرة لعصر الطوائف ، و هي علو الحركة العلمية و وفرة إنتاجها ، رغم سوء الأحوال السياسية و الاجتماعية ، ممّا لا ينتظر معه وجود مثل هذه الظاهرة مجرّدة عن تلك الأسباب و بدون تلك الأصول .

و يذكر المؤرخون من أسباب هذه الظاهرة اهتمام أمراء الطوائف بالأدب و العلم ،

و تشجيعهم للعلماء و تقريبهم، حتى إنّ قصور الكثير منهم غدت منتديات أدبية وعلمية ، مع أنّ الأدب كان غالبا لأكثر من سبب .

أشار أبو الوليد الشقندي إلى ذلك في رسالته ، في فصل الأندلس : " **و لما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف ، و تفرّقوا في البلاد ، كان في تفرّقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد ، إذ نفّقوا سوق العلم ، و تباروا في المثوبة على المنثور و المنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلاّ القول ، و ليس منهم إلاّ من بذل وسعه في المكارم ، و نبّهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم** " . (1)

فتجمّع في البلاط كثير من رجالات العصر و كتابه و شعرائه أمثال ابن زيدون و ابن وهبون، و ابن اللبانة ، و ابن عمّار " و اشتهرت مع ابن زيدون الشاعرة الأدبية ولّادة بنت المستكفي .(2)

1- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن على الحجّي، ص 413.

2- ينظر المرجع نفسه ، ص 413.

و لقد صوّر المستشرق غارسيا الحياة الأدبية و الشعرية في هذه الحقبة بقوله " **إنّ الشعراء مضوا يقطعون الأندلس طولا و عرضا ينتجعون قصور الأمراء حيث يظفرون بالمآوي و الصلات ، و يحضرون مجالس أصحاب الأمراء ، و تدرج أسماؤهم في سجلّات الدواوين ، و تقرر لهم الأرزاق، و تخلع عليهم وظائف التّدريس و كان كبار القوم من ملوك و وزراء و أصحاب وظائف كبرى و سفراء لا يتراسلون إلّا شعرا** ."(1)

ومنه يمكن القول أن عصر ولادة يعد عصر سطوع الأدب ، و غزارته رغم التفكك و الاضطراب السياسي و عدم استقرار البلاد .

و قد أشرنا في فصل سابق أن عصر ملوك الطوائف شهد فيضًا من الشواعر ، لكن أبرزهن و أشهرهن ولادة . و في المبحث الآتي سيكون لنا حديث عن ثقافتها و فكرها .

1- الشاعرات الأندلسيات في عصر ملوك الطوائف ، محمد أحمد القضاة ، ص 20.

المبحث الثانــي:ثقافتــها و فكـــرها

تعتبر ولّادة بنت المستكفي أشهر شاعرات قرطبة ، بل هي شاعرة الأندلس و أعلاهن رتبة ، و أسماهن في الأدب مقاما .(1)

و كانت في شرخ شبابها ، و ذروة شهرتها ، و قد شهدت مصرع آبائها و انهيار دولتهم و تربع أمراء الطوائف على أرائكهم ، و كانت ولّادة قد أخذت قسطا وافرا من التعليم قبل وفاة أبيها ، حيث أحضر لها والدها العلماء و المثقّفين و حدب على تربيتها ، لكنها ورثت عنه و عن أمها الشرّيرة ميلها إلى المرح و التحرّر من قيود المجتمع ، و الجرأة على الفساد ، و هكذا تحرّرت من الأصداف الاجتماعية ، بعد موت أبيها فسفرت عن وجهها .(2)

أما عن حياتها الأدبية فقد فتحت أبواب قصرها للأدباء و الشعراء و رجال الفكر ، فكان مجلسها بقرطبة " تجمع فيه بين الجمال و الأدب و الذوق ، و رواء الحديث وحلاوة الرد، و حرارة النّكتة حتى صح أن تعدّ من كبيرات ربّات المجالس الأدبية أو الصالونات في الأدب العربي ، فسبقت به أديبات فرنسا بعدّة قرون " .(3) فاجتمع في ندوتها من معاصريها شعراء و أدباء ، و قد أشارت إلى ذلك حين قالت : (4)

إِنِّي وَ إِنْ نَظَرَ الأَنَامُ لَبَهْجَتِي ⁂ كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

1- ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ، ص141.

2- ينظر تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار الملايين ، لبنان ، دط ، د س ط ، ج4 ، ص 141.

3- الشعر النسوي الأندلسي الأندلسي ، سعيد بوفلاقة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995 ،ص83.

4- المرجع نفسه ، ص 84 و 85 .

يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الكَلاَمِ فَوَاحِشًا ⁂ وَ يَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنَا الإِسْلَامُ

وكان الشاعر ابن زيدون من رواد هذا الصالون ، و على رواده يقرأ شعره ، فقد اتّفق الدّارسون على الإشادة به و رأوا فيه أعظم شاعر قديم أنجبته الأندلس على حدّ تعبير جومث .(1)

و في صالونها أعجبت **ولّادة** بشعر **ابن زيدون** ، و أعجب هو الآخر بسحرها و خفة روحها ، فانبعث في كل منهما ميل قوي نحو الآخر.

و لكي نرسم صورةً لولّادة علينا أن نعود لكتب المؤرخين ، و نرى أقوالهم فيها من جهة ، و أن نعود إلى شعر ابن زيدون الذي وصفها أدق وصف من جهة ثانية ، و لا يمكن " في الحقيقة أن نفصل الحديث عن ولادة و ابن زيدون ، فهما كلّ لا يتجزأ و شعر ابن زيدون أروعه و أعذبه ما قاله بها " (2)

يقول ابن بسام في حديثه عن **ولّادة** : " و كانت من نساء أهل زمانها واحدة أقرانها ، حضور شاهد و حرارة أوابد ، و حسن منظور و مخبر ، و حلاوة مورد و مصدر ، و كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، و فنائها ملعبا لجياد النظم و النثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضياء غرّتها ، و يتهالك أفراد الشعراء و الكتاب على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، و كثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب ، و كرم أنساب ، و طهارة أثواب ، على أنّها — سمح الله و تغمد زللها — أطرحت التّحصيل و أوجدت إلى القول فيها السّبيل ، بقلّة

1- ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، إحسان عباس ، دار الثقافة لبنان ط 2، 1969، ص 109.

2- دراسات في تاريخ الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص 112.

مبالاتها ، و مجاهرتها بلذاتها " (1)

و في نفح الطيب يورد المقري نصين لابن شكوال و ابن سعيد يتحدثان فيهما عن ولّادة ، يقول ابن شكوال : " كانت أديبة شاعرة زجلة القول ، حسنة الشعر ، و كانت تناضل الشعراء و تساجل الأدباء و تفوق البرعاء ، و عمرت طويلا ، و لم تتزوج قط . (2)

أمّا ابن سعيد فيقول : " إنّها بالغرب كعلية أخت الرشيد في الشرق ، إلّا أنّ هذه — أي ولّادة — تزيد بمزيّة الحسن الفائق ، و أمّا الأدب و الشعر و النثر و النادرة و خفة الروح ، فلم تكن تقصر عنها ، و كان لها صنعة في الغناء ، و كان مجلسها يغشاه شعراء قرطبة ، و ظرفائها فيمر فيه من النّادر ، و إنشاد الشعر كثيرا لما اقتضاه عصرها . " (3)

و منه فإنَّ كُتب الأدب و التاريخ تجمع على أنّ ولّادة كانت شاعرة رقيقة بارعة ، و ناقدة ذواقة ، و سيّدة ندوة أدبية ، قويّة الشخصية إلى درجة مفرطة ، جعلتها ترفض الزواج لأنّه يجعلها تفقد قدرًا من قوة شخصيّها (4)

1- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ابن بسام الشتريني ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان د ط، ج 1 ، 1998،ص 379.

2- نفح الطيب ، المقري ج 5 ص 338.

3- المصدر نفسه ، ص 339.

4- ينظر دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص 121.

المبحث الثالث: الدراسة الأدبية ، الأغراض و الخصائص.

طرق شعراء الأندلس كلّ الأغراض و الفنون الشعرية التي كانت معروفة عند شعراء المشرق ، من غزل و هجاء ، و رثاء و حكمة ، و زهد ، و استعطاف ، غير أنّهم توسّعوا في بعض الموضوعات و طبعوها بطابعهم الخاص ، كوصف الطبيعة ، و العمران ، و رثاء المدن و المماليك الزّائلة ، واستحدثوا فنونا أخرى كالموشحات و الأزجال .(1)

أمّا شاعرات الأندلس فلم يَنْظُمْنَ في كلّ الأغراض ، و الفنون الشعرية التي عرفت عند الشعراء ، أو بالأحرى لم يصلنا من شعرهنّ كلّ الموضوعات .

و أهمّ الأغـراض التي تناولنـها : الغـزل ، المـدح ، الهجـاء ، وصف الطبيـعة و الشكوى و الاستعطاف ، بالإضافــة إلى الموشحات و من أبـرز كل ذلك نجد أغراض : الغـزل ، و الهجاء، و وصف الطبيعة و خصوصا في عصر ملوك الطوائف ، العصر الذي تمثّله أشهر شاعرة فيه و هي ولّادة ، و هذه الشهرة الكبيرة التي نالتها على خلاف بنات عصرها كانت لسببين مهمين :

1- أنّها من بيت الخلافة و ابنة الخليفة ، و صاحبة منتدى يَؤُمُّ الأدباء ،وذات جمال وفتنة ، فسحرت جمهرة الشعراء ، فوقع التّنافس بينهم سعيا للفوز بقلبها و الاستئثار بحبّها .(2)

2- ارتباطها بابن زيدون شاعر قرطبة الذي منحته الكثير من الحب و وهبته الوفير من الودّ ،

1- الشعر النسوي الأندلسي ، سعيد بوفلاقة ، ص 191.

2- المرجع نفسه ، ص 191 .

فقال فيها أجمل الغزل ، و أرقه ، و أنشأت بدورها فيه الرائعة من الأبيات اللّطاف ، و العذبة من القصائد الآسرة .(1)

و يتراوح شعرها بين الغزل و الهجاء و العتاب .

1 – مقتطفات من شعرها :

سنحاول أن نعرض أبرز المقطوعات الشعرية لولّادة ،و سنبدأ بغرض الغزل ، باعتباره البارز في شعرها .

أ – الغـــــزل :

و يعتبر الغزل أبرز غرض في الشعر النسوي الأندلسي ، و مرّد ذلك انتشار مجالس اللهو و الطرب في المجتمع الأندلسي ، بالإضافة إلى الحرية التي تمتعت بها المرأة الأندلسية .

و الغزل ينقسم إلى نوعين : الاتجاه العذري العفيف ، و اتّجاه المجون و الشهوة ، و هو اتجاه حسي تحركه الشهوة ، و تجدد نشاطه الرغبة المستمرّة .(2)
و من شهير ما قالته ولّادة لابن زيدون :

تَرَقَّبْ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ زِيَّارَتِي ⁂ فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمُ لِلسِرِّ

وَ بِي مِنْكَ لَوْ كَانَ بِالشَّمْسِ لَمْ تُلْحَ ⁂ وَ بِالبَدْرِ لَمْ يَطْلُع وَ بِاللَّيْلِ لَمْ يَسَر (3)

1- الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ، ص 181 .

2- ينظر الشعر النسوي الأندلسي، سعيد بوفلاقة ، ص 192 .

3- نفح الطيب ، المقري ، ج 5 ، ص 340 .

و يجيبها ابن زيدون :

إنْ غِبْتِ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤَانِسُنِي ⁂ وَ إِنْ حَضَرْتُ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَا (1)

و من جميل قولها بعد أحد لقاءاتهما :

وَدِّعْ الصَّبْرَ مُحِبّ وَدَّعَكَ ⁂ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ

يَقْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُن ⁂ زَادَ فِي تِلْكَ الخُطَى إِذَا شَيَّعَكَ

يَا أَخَا البَدْرِ سَنَاء وَ سَنَا ⁂ حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَرْجَعَكَ

إنْ يَطُلْ بَعْدُكَ لَيْلِي فَلَكَمْ ⁂ بِتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ (2)

و كتبت إليه أيضا :

أَلاَ هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ ⁂ سَبِيلٌ فَيَشْكُو كُلَّ صَبٍّ بِمَا لَقِيَ

وَ قَدْ كُنْتَ أَوْقَاتَ التَّزْوَارِ فِي الشِّتَا ⁂ أَبِيتُ عَلَى جَمْرٍ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرِقٍ

وَ كَيْفَ وَ قَدْ أَمْسَيْتُ ، فِي حَالِ قِطْعَة ⁂ لَقَدْ عَجَّلَ المَقْدُورُ مَا كُنْتُ أَتَّقِي

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَا أَرَى البَيْنَ يَنْقَضِ ⁂ وَ لَا الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ التَّشَوُّقِ مَعْتَقِي (3)

الملاحظ من غزل ولاّدة أنّه " ارتبط دائما بابن زيدون ، و كأنّه هو الحافز على نظم

1- ديوان ابن زيدون ، شرح و تحقيق عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي ط 1 ، 1996 ، ص 342 .

2- ينظر نفح الطيب ، المقري ج 6 ، ص 342 .

3- ينظر المصدر نفسه ، ص 342 .

الشعر لدى ولاّدة ، فتغزّلت بابن زيدون ، كما تغزّل بها هو الآخر ، هذه الظاهرة تتكرر كثيرا في الأندلس ، و لا توجد في المشرق إلّا نادرا " (1)

و قد أنشأت تلك الأبيات في مقام التذمر و الغيرة ، تترجم مشاعرها اتّجاه ابن زيدون و حبّها إيّاه ، في غزل ، رقيق يجمع الصّبابة و الشكوى ، على طريقة عدد من شاعرات الأندلس ، اللائي أعطين لأنفسهنّ ، الحرية الكاملة في التغزّل بالرجل ، كما تغزّل الرجل بالمرأة .(2)

ب- الهجاء :

لم تكن ولّادة شاعرة غزلية فحسب ، بل كانت أيضا هجّاءة مريرة ، سليطة اللسان ، استطاعت بحدة لسانها أن تفوق أترابها من بنات عصرها ، و يندرج هجاء ولّادة ضمن الهجاء الشخصي ، أي الهجاء الذي يكون بين فردين يتّصف في الغالب بصفة التشهير بين شاعر و آخر ، أو بين شاعر أو أحد أعدائه ، و هو يتّسم بالبذاءة و الفحش و الإقذاء ، و في هذا السياق يمكن أن نورد من شعر ولّادة هذه الأبيات التي قالتها في هجاء " ابن زيدون" حين أطلقت عليه لقب المسدّس و هو أخف ما قالته في هجائه تقول : (3)

وَ لُقِّبْتَ المُسَدَّسَ وَ هُوَ نِعْتٌ ⁂ تُفَارِقُكَ الحَيَاةُ وَ لَا يُفَارَقُ

لقد بلغ هجاء ولادة من الفحش درجة لا نكاد نصدقها ، خاصة وهي شاعرة أميرة من البيت الأموي الأندلسي ، ينتظر منها الحشمة والحياء و العفة . و لعلّ ما يجعلنا نقرّ

1- الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ، ص 184 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

3- نفح الطيب ، ج 5 ص 340 .

أنّ " ولاّدة" قد تجاوزت الحدود في استعمال الشعر و تسخيره ، لهواها و نزواتها من خلال استعمالها لألفاظ فيها كثير من الفحش و البذاءة ، و قذف بالشتائم و ذكر المساوئ لدرجة أنّ بعض أشعارها نجد فيها حذفا للكلمات البذيئة ، من طرف بعض المؤلّفات و هذا ما جعل أسلوبها في غرض الهجاء أسلوبًا سوقيًا .(1)

ج – الفخـــر :

تقول ولّادة وهي تفتخر بشبابها :

أَنَا وَ الـلَّهِ أَصْـلُـحُ لِلْمَـعَـالِي ⁂ وَ أَمْشِي مِشْيَتِي وَ أَتِيـهُ تَيهًـا

أُمَكِّنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي ⁂ وَ أُعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا (2)

و قد أثارت هذه الأبيات حولها كثيرا من الجدل " و وصفت بالاستهتار و وقف منها المؤرخون مواقف مختلفة بين متّهم و مدافع ، و تروي الكاتبة المعاصرة سلمى الحفار الكزبري أنّ هذا السلوك ليس إلاّ نزوة من نزوات الشباب " (3)

كما كتبت أبياتا تدافع فيها عن جمالها و كبريائها ، و تعنف ابن زيدون تقول :

لَوْ كُنْتَ تَنْصِفُ فِي الهَوَى مَا بَيْنَنَا ⁂ لَمْ تَهْوَ جَارِيَّتِي وَ لَـمْ تَتَخَـيَّرْ

وَ تَـرَكْـتَ غُـصْنًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ ⁂ وَ جَنَحْتَ لِلغُصْنِ الذِي لَمْ يُثْمِرْ

1-ينظر الشعر النسوي الأندلسي ، سعيد بوفلاقة ، ص 277 .

2- ينظر نفح الطيب ، المقري ، ج 5 ص 340 .

3- الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ، ص 183 .

وَ لَقَدْ عَـلِمْتُ بِأَنَّـنِي بَدْرُ السَّمَـاءِ ⁂ لَكِنْ ذَهَبْتَ لِشَقْوَتِي بِالمُشْتَرِي (1)

فقد شَبَّهْتُ نفسها بالغصن المثمر و جعلت نفسها ندا للبدر في سمائه ، كما أجرت طباقا بين البدر و المشتري ، فهذا منير و ذاك مظلم آفل .

و لكن يشتدّ بابن زيدون الحنين ، إلى قرطبة و ولّادة بعد زمن من مقاطعتهما ، فكتب أجمل قصائده متناسيا ما هجته به من فاحش الكلام ، و يرسل لها رائعته الخالدة :

أَضْـحَى التَّنَـائِي بَـدِيلاً مِـنْ تَـدَانِيـنِا ⁂ وَ نَابَ عَنْ طِيبِ لِقِيَامِنَا تَجَافِينَا

غَيْظُ العَدَا مِنْ تَسَاقِينَا القُرَى فَـدْعُوا ⁂ بِـأَنْ نَـغُـصْ فَقَـالَ الدَّهْرُ آمِيـنَا

بِـنْتُـمْ وَ بِنَا فَمَا اِبْتَـلَتْ جَوَانِـحُنَـا ⁂ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَ لَا جَفَتْ مَآقِينَا (2)

و هذه القصيدة باعتراف النقاد أروع ما قاله ابن زيدون " و هي مترجمة إلى أكثر من لغة ، لأنّ المشاعر الإنسانية التي فيها تخرج من الدائرة الإقليمية المحلية إلى الدائرة العالمية لتخاطب كل الأذواق البشرية " (3)

2 – خصائص شعرها :

– في اللّغة و المعنى :

تمتاز لغتها بالبساطة و السلاسة ، ألفاظها جزلة و قوية ، تخـلو من مظاهـر التعقيد

1- ينظر المرجع السابق ، ص 183 .

2- ديوان ابن زيدون ، شرح و تحقيق عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1996 ص 46.

3- دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، ص 113.

و الغرابة .

أمّا المعاني فجاءت مترابطة من غير تكلّف أو تصنّع ، ممّا تجعل القارئ متفاعلا و منسجما مع هذه المعاني .

– في الأسلوب :

الأسلوب " هو طريقة في الكتابة ، و هو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ، و يتميز في النتيجة من القواعد التي تحدد معنى الأشكال و صوابها ". (1)

و قد جاء أسلوبها سهلا غير غامض ، يمكن أن يصل إلى الأذهان بصورة واضحة ، و ذلك راجع بطبيعة الحال لاستخدام الشاعرة ألفاظًا بسيطةً ، و التي يمكن أن نصنّفها إلى

أ– ألفاظ عاطفية : هي ألفاظ ترتبط بموضوع الغزل و تتمثل في الشوق ، الصّبابة ، المحب ، الهوى .

ب– ألفاظ اجتماعيّة :و هي الألفاظ التي تدل على واقع المجتمع و أوضاعه في ذلك الوقت مثل : " أنا و الله أصلح للمعالي " .

ج – ألفاظ الطبيعة : و هي ميزة تميز بها شعر المرأة الأندلسيّة فنجد : الشمس ، الظّلام ، البدر ، اللّيل ، الشّتاء ، الأرض ، و هو دليل على تأثر الشاعرة بالطبيعة الأندلسية الخلاّبة .

– في الوزن و القافيّة :

الوزن هو أعظم أركان حد الشعر و أولاها به خصوصية ، و له إيقاع يطرب الفهم

1- الأسلوبية ، **د.** بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، دار الحاسوب للطّباعة و النّشر ، حلب ، ط 2 ، 1994 م ، ص 17 .

لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه و اعتدال أجزائه .(1)

أمّا القافية ليست إلّا عدّة أصوات ، تتكرّر في أواخر الأسطر و الأبيات من القصيدة ، و تكرّرها هذا ، يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردّدها ، و يستمتع لمثل هذا التردّد الذي يطرق الآذان ، في فترات زمنية منتظمة . (2)

و قد نظمت الشاعرة "ولاّدة "مقطوعتها ، على أكثر من بحر و أبرز البحور هي بحر الطويل و الوافر ، و ذلك ليتناسب عند التّعبير عن عواطفها و مشاعرها ، كما نوعت في حروف القافيّة (الراء و الهاء و القاف و الكاف) ، لتتماشى و الجو الموسيقي ، وإحداث التّأثير في نفسية السامع .

و في مجمل القول فإنّ شعر " ولادة " بسيط واضح يخلو من التزويق و التنميق ، و يمكن أن يتأتى إلى كافة القراء ، دون عناء البحث في معانيه .

و بالإضافة إلى الخصائص الأساسية التي سبق ذكرها ، هناك خصائص ثانوية ميّزت شعرها و أبرزها :

- تعد " ولادة " أبرز وجوه الأدب و الشعر في الأندلس قاطبة زمانا و مكانا ، و هذا راجع لمكانتها فهي أميرة و بنت حاكم .

- اشتهرت " ولاّدة " بجمالها و سحرها و عمّرت طويلا و لم تتزوج قط .

1- بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، لبنان ، ط2 ، 1982 ، ص158 .

2- المرجع نفسه ، ص176 .

- ارتبط شعر الشاعرة بابن زيدون ، فأغلب شعرها مساجلات معه .

- تراوحت الأغراض التي نظمت فيها بين الغزل و الهجاء و الفخر ، و لم يصلنا شعرها في أغراض أخرى ،كالمدح و الرثاء و الحنين .

- جاءت أشعارها مثل بنات عصرها على شكل مقطوعات قصيرة ، و ليس لها قصائد طوال أو ديوان شعري يجمعها.

- كان للشاعرة جرأة كبيرة و تفوّق في نظم الشعر ، خاصّة في موضوعات كانت حكرًا على الرجال ، مثل التغزل بالرّجل ، و معروف أنّ الرّجل هو الذي يتغزل بالمرأة .

- امتاز شعرها في غرض الغزل خاصّة بالإباحية و المجون ، و ذلك بسبب انتشار مجالس اللّهو و الترب ، أمّا في غرض الهجاء فيخلو من مظاهر الحشمة و الحياء ، و هو مناقض لطبيعة المرأة التي تمتاز بالرّقّة و اللين .

من خلال ما تقدم نستنتج أنّ شعر المرأة الأندلسية بصفة عامة ، و شعر " ولادة بنت المستكفي " بصورة خاصة ، يطغى عليه اتجاه المحافظة و التقليد ، و لا نلمس فيه جدة كبيرة .

خاتمة

الخـاتمـة :

و بعد هذه الجولة العلميّة لموضوعنا الذي تناول الشعر النسوي في الأندلس و ولّادة بنت المستكفي نموذجا له ، توصّلنا إلى نتائج أهمّها :

1- مازال مصطلح الأدب النسوي يثير الكثير من الجدل في أذهان الباحثين و الدّارسين من حيث هل أنّه أدب تكتبه المرأة ، أو أنّ المرأة موضوعا في حدّ ذاتها ، و هذا ما جعله يدخل في حلقة كبيرة ضمّت ردود أفعال الدّارسين فتضاربت بين مؤيّد و معارض له .

2- كان للمـرأة الأندلسيّة أثـر بارز في مختلـف النّشاطات السيّاسيّة ، و الاجتماعية ، و الفنيّة ، و العلميّة .كما كان لها حضور قوي في المجالس الأدبيّة و المشاركة في المساجلات الشعرية .

3- امتاز شعر الأندلسيات بقصر النّفس ، لذلك كان أغلب أشعارهم عبارة عن مقطعات ، فلا نجد قصائد مطولات لهنّ ، و في مختلف الأغراض الشعريّة .

4 – انعكست الشّخصية الأنثوية على الشعر النسوي ، و طبعته بطابع السهولة و العذوبة ، و الرقة ، و الصّدق ، و الموسيقى الهادئة ، دون أن يقلّل من شاعريتهن .

5 – لا نرى في الشعر النسوي الأندلسي نوعا كبيرا من الابتكار في الموضوعات و الأغراض ، فهي مستمدّة من التراث و عليه تميّزت بالمحافظة و التّقليد .

6- تغزّل المرأة بالرّجال و وصف محاسنهم الجسديّة ، كتغزّل الرّجل بالمرأة ، و هذا يعدّ إسهاما فعّالا في الأدب النّسوي .

7- نظمت الشّواعر في مختلف الموضوعات و الأغراض الشعرية وكان الغزل الأكثر تداولا بينهنّ ، و خصوصا عند ولّادة بنت المستكفي و الذي تنوّع بين الغزل العفيف الرّقيق ،

و الغزل الجريء المتطرّف .

8- حضور الرّجل في شعر ولاّدة ، و بجرأة كبيرة ، تمثّل بالصّبابة في تصوير اللّوعة و ترجمة خوالج نفسها و عاطفتها الملتهبة .

9 – يعدّ عصرها أزهى عصور الأدب الأندلسي ، لما عرف فيه من بروز للشّواعر و كثرتهنّ ، رغم الصّراع السّيّاسي الذي شهده ذلك العصر ، حيث أطلقت الشّاعرة الأندلسيّة العنان في مجاراة الرّجال ، و الردّ عليهم ،و مساجلتهم ، و مناظرتهم ، فكانت أشهرهنّ (ولاّدة بنت المستكفي) ، بل أشهر شاعرات الأندلس كافّة .

10- ساهم ابن زيدون في شهرة ولاّدة بنت المستكفي ، فحظيت بالدّراسات و البحوث من قبل الدارسين ، لأنّ أغلب و أجود شعره نظمه فيها .

قائمــة المصـــــادر

و المراجـــــع

قائمـــة المصـادر و المراجـــع :

1- أدب مي زيادة في مرايا النقد ، منى الشرافي تيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010.

2- الأدب الأندلسي ، سامي يوسف أبو زيد ، دار المسيرة للنّشر و التوزيع ، عمان ، ط1 . 2012

3- الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط4 ، . 1979

4- الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ، خديجة العزيزي ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام ، بيروت ، ط1 ، 2005 .

5- الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة منذر العياشي ، دار الحاسوب للطباعة و النشر ، حلب ، ط2 ، 1994.

6- بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، لبنان ، ط2 ، 1982 .

7- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، ط1 ، . 1986

8- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، ط2 ، 1969 .

9- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن علي الحجي ، دار القلم ، بيروت ، ط1 ،1981 .

10 – تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، لبنان ، دط ، د س ط .

11– الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1986 .

12– الجنس الثاني ، سيمون دي بوفوار ، نقلته إلى العربية لجنة من أساتذة الجامعة ، ط1 ، د س ط .

13– الحركة الفكرية النسوية ، في عصر النهضة ، جورج كلاس ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1996 .

14– دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة ، طاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1987 .

15– دراسات في تاريخ الأدب العربي ، أغناطيوس كراتشوفسكي ، دار النشر علم موسكو ، دط ، 1965 .

16– دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي ، محمد حسن قجة ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1985 .

17– ديوان ابن زيدون ، شرح و تحقيق عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1996.

18– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشريني ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، دط ، 1998 ، ج1 .

19– الرواية العربية المتخيل و بنيته الفنية ، يمنى العيد ، دار الفرابي ، لبنان ، ط1 ،2011.

20– شاعرات الأندلس و المغرب ، فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 2008 .

21– الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف ، محمد شهاب العاني ، دار دجلة، عمان ، ط1 ، 2010 .

22– الشعر في عصر الموحدين ، فوزي عيسى كلية الآداب جامعة دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2007 .

23– الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط3 ، 2008 .

24– الشعر النسائي في أدبنا القديم ، مي يوسف خليف ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط1 ، د س ط .

25– الشعر النسوي الأندلسي ، سعيد بوفلاقة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995 .

26– صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين ، محمد صبحي أسعد أبو حسين ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، دط ، 2003 .

27– قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرار ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2007 .

28– المرأة و اللغة ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دط ، 1997 .

29– المرأة العربية و الإبداع الشعري ، سهام عبد الوهاب الفريح ، دار جرير للنشر و

التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2010 .

30– ما هو النقد ، بول هيرنادي ، ترجمة سلافة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1989 .

31– المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 2009 ، ج2 .

32– موسوعة النظرية الأدبية ، نبيل راغب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2013 .

33– النظرية الأدبية المعاصرة ، رامان سلدن ، ترجمة جابر عصفور ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1998.

34– نفح الطيب ، شهاب الدين أحمد المقري التلمسان ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، د س ط ، ج 6/5/3/2/1 .

– المقـــالات :

35– الشاعرات الأندلسيات ، محمد أحمد القضاة ، الأردن ، 1994 ، العدد السابع .

فهـــرس الموضوعـات

فهرس الموضوعات

الملخـــص :

ساهمت المرأة في الأدب الأندلسي ، و تحديدا في عصر ملوك الطوائف ، الذي شهد فيضا من الشواعر، حيث فرضت وجودها في الساحة الأدبية عامة ، و الشعرية خاصة . و أبرز من مثّلت هذا العصر الأميرة ولادة بنت المستكفي ، التي امتازت بنبوغ في عالم الشعر، فهي شاعرة جزلة القول ، مطبوعة الشعر، قوية النظم ، استطاعت أن تنشئ لنفسها صالونا أدبيا ، هذا الأخير عدّ ملتقى للأدباء و الشعراء و رجال الفكر، و كان صديقها الشاعر ابن زيدون من رواد هذا الصالون، فأصبحا كلا متكاملا .

الكلمات المفاتيح : بلاد الأندلس ، الشعر النسوي ، الشاعرة الأندلسية ، ولاّدة بنت المستكفي ، شعر الغزل .

Résumé :

Les femmes ont contribué à la littérature andalouse, et plus précisément à l'époque de Taifa , qui a vu un flot de Ahawaar où a imposé sa présence sur la scène littéraire en général et les nouilles privé et la plupart représentés cette ère, princesse fille wllada Almcetkvi qui caractérise Npog dans le monde de la poésie qu'ils poète Dzlh disent imprimés puissants poetique des systèmes a été en mesure de créer pour lui-même un salon littéraire , Ce dernier comptage d'un lieu de rencontre pour les écrivains , et les poètes et les hommes d'esprit ,et son petit ami était le poète Ibn Zaidoun , des pionniers de cette berline Vosubha fois intégré .

Mots – clés : andalousia , Poésie des femmes , poéte andalous , wallada de fille almcetkfi , le fille de Poesie .

Summaray :

Women have contributed to the Andalusian literature, and specifically in the era of Taifa , which has seen a flood of Ahawaar where imposed ,its presence in the literary scene in general, and the noodles private, and most of represented this era Princess wallda birth Almcetkvi ,that characterized Npog in the world of poetry, they poet Dzlh say printed powerful systems Poet ,has been able to create for itself a literary salon

The latter counting a meeting place for writers, and poets and men of intellect ,and her boyfriend, was the poet Ibn Zaidoun of the pioneers of this saloon Vosubha both integrated .

Key words : andalusia , women poet , andalusian poet , wllada girl almcetkfi , boerty.